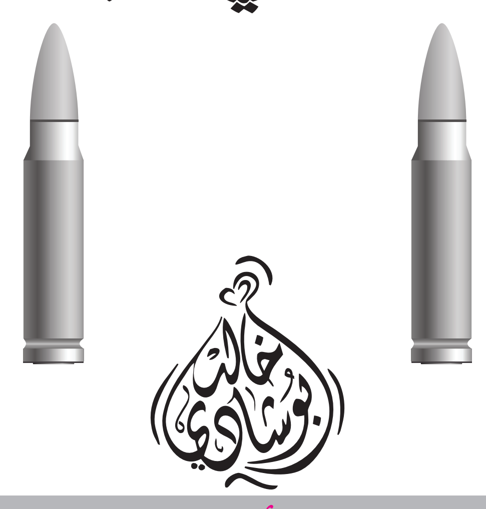
الحرب على الكسل

١٠ طلقات في قلب الكسل



خالد أبو شادي

الطبعة الأولى

الحرب على الكسل

طيبة للنشر والتوزيع

٤٥ شارع حيدر حلوان القاهرة

٠٢/ ٢٩٧٣٣٢٦٦

E-Mail: Tibaadv@yahoo.com

وداعـــــاً أيهــا الـكـســــل

أتـــاك الـعـــزم والـعـمــل

أتـــاك الـفـجــر مـؤتـلـقــاً

فـأحـيــا عـنــدنـا الأمــــل

أنـــاجـي ربــنــا الـمـعـبــود

بــجــوف الـلــيــل أبــتـهــل

أعــيــد كـتــابـة الـتـــاريـخ

بــأرض الـقــــدس أحـتـفــل

أيها الكسل الزائر

سأقتلك لأعيش!!

سأتخلص منك قبل أن تتخلص مني!!

وأجهز عليك قبل أن تجهز على قلبي

لأقتلنك ولو بعد حين!!

فقد انتهت الهدنة ونفدت مهلتك!!

ولن أكتفي بذلك بل سألاحقك في قلوب الغافلين وبيوت النائمين

وأغزوك في عقر دارك

وأقتلعك من جذورك

ثم أرمي بك بعيدًا

أدفنك إلى غير رجعة

وأزرع بدلاً منك شوقًا إلى العمل

لأكون مفتاح خير

أدل الناس عليه

وآخذ بأيديهم إليه

لأكون للمتقين إمامًا

وفي صفوف الجنة أمامًا

حديث للحفظ:

قال رسول الله ﷺ موصيًا:

«يا شداد بن أوس!! إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة فاكتنز هؤلاء الكلمات:

اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد.

وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك.

وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك.

وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانا صادقًا.

وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم.. إنك أنت علام الغيوب».

[صحيح: السلسلة الصحيحة رقم: ٣٨٨٨]

الكلمة القاتلة

كان **عبد الله بن عباس** ﵄ يكره أن يقول:

«إني كسلان».

[مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٣٢٠]

والنصيحة هنا:

لا تجنِ على نفسك بما تنطق به من كلمات،

ولا تجعل لسانك يقود أفعالك الخاملة وانفعالاتك الخائبة.

النقش على حجارة الذاكرة

في الصفحة الأخيرة من الكتاب يوجد ملصفات .. تذكِّرك ببعض الوصايا العملية في الكتاب، ودورك أن تنزعها من الكتاب وتضعها في أماكن محددة، لتتذكر -كلما نظرت إليها- وصية عملية غائبة بين ثنايا هذا الكتاب.

حاسب نفسك: عند فراشك قبل النوم

حدد هدفك: قبل كل عمل، فإن كانت عبادة فجدد لها نية، وإن كان عادة فاقلبها عبادة ا آخر فاسأل نفسك ماذا يستهدف.

ادع ربك: دبر كل صلاة، وفي مواطن الإجابة بما دعا به حبيبك من دعوات مقاومة الكسل وبث العزم ستمر بك وأنت تبحر في صفحات الكتاب.

اطلب موعظة: عند لقاء الإخوان ومجالس الإيمان.

العلم الضارُّ !!

قال **سفيان بن عيينة**:

«العلم إن لم ينفعك ضرك».

[الزهد لأحمد ١/ ٩٧]

لأنك إن لم تعمل به صار حجة عليك، وجوزيت به يوم القيامة، ولذا لما سُئل **ابن عيينة**: من العالم؟ قال:

الذي يعطي كل حديثٍ حقه.

قيل: وما حق الحديث؟ قال:

«العمل به».

[اقتضاء القول العمل ١/ ٨٤]



المقَدّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾

أما بعد..

فقد هممت أن أكتب رسالة عن الثبات على الطاعة بعد رمضان، بعدما رأيت أن الثبات عزيز، وأن كثيرًا من الناس يتقهقرون عما وصلوا إليه من الطاعات في رمضان، ثم بدا لي ان أعالج هذه القضية بصورة أشمل، وأصوغ الكتاب حول الهمة العالية ومقاومة الفتور والوهن، وشاء الله لي أن أُدعى إلى محاضرة تدور حول نفس الموضوع، فلبيت الدعوة، وأجرى الله على لساني الخير الكثير، فعزمت أن أجعلها في كتاب لتكون أكثر فائدة ويعم النفع.

إن الكسل داء وبيل إذا تمكن من أحد أصاب دنياه وآخرته ، بل ويفقد الكسول بمرور الوقت إنسانيته، حين يضمحل ذكاؤه وتتبدد إنسانيته، واسمعوا قول **الإمام الراغب**:

«من تعطَّل وتبطَّل انسلخ من الإنسانية، بل من الحيوانية، وصار من جنس الموتى، ولأن الفراغ يبطل الهيئات الإنسانية، فكل هيئة بل كل عضو ترك استعماله

يبطل، كالعين إذا غمضت، واليد إذا عطلت؛ وكما أن البدن يتعود الرفاهية بالكسل، كذلك النفس بترك النظر والتفكر تتبلد وتتبله، وترجع إلى رتبة البهائم»[1].

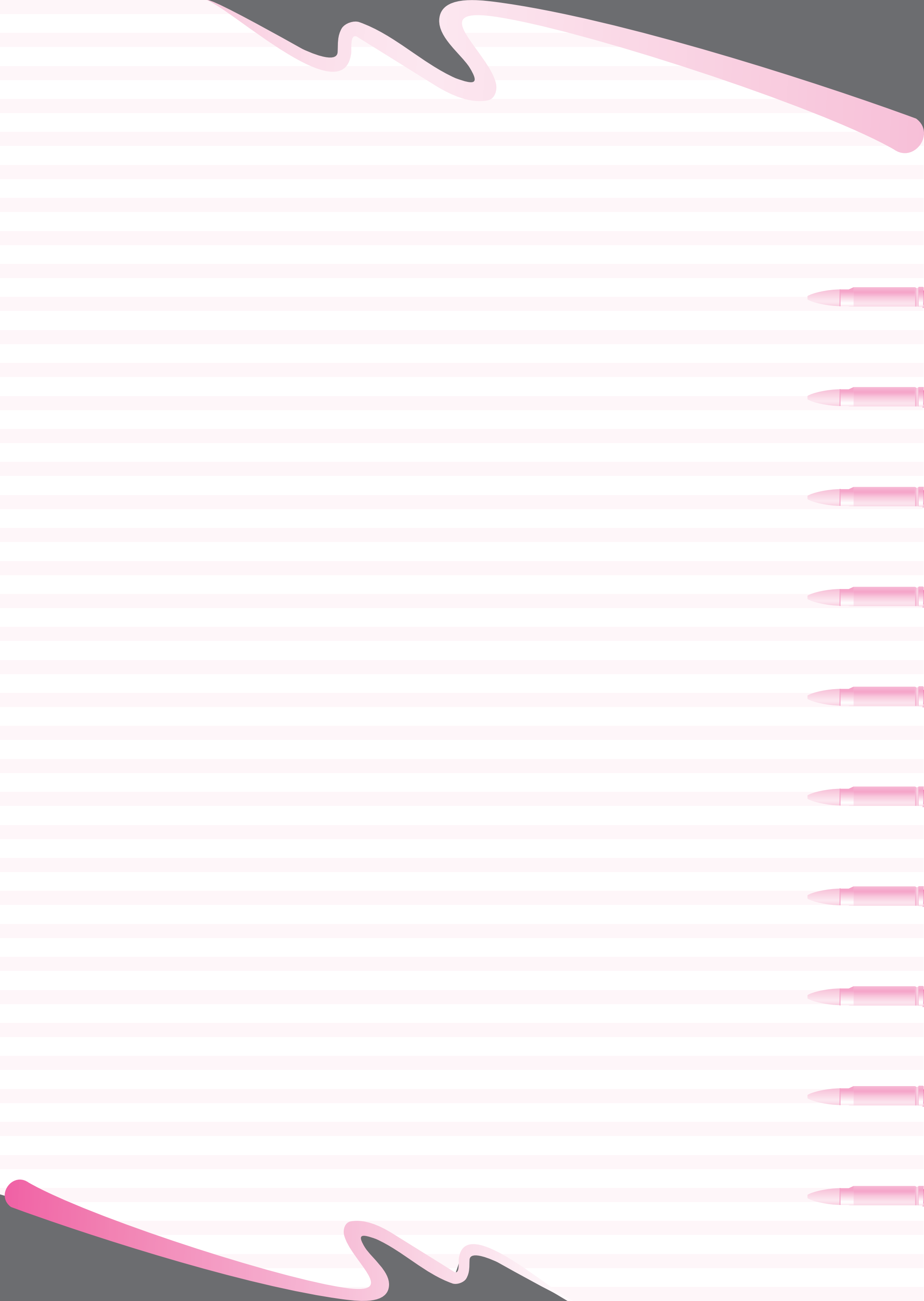
وهو داء لا يبالي من أصاب: شيخًا أو شابًا .. رجلاً او امرأة .. صاحب دين أو صاحب لهو، ولذا فالتحذير ينال الكل، ولا يستثني أحدًا حتى أهل الجِدِّ والمثابرة، وصدق **ابن القيِّم** حين قال:

«كل مجِدٍّ في طلب شيء لا بد أن يعرض له وقفةٌ وفتور»[2].

والله أسأل أن يتقبل مني، ويعصمني مما نهيت الناس عنه، ويجعلني سببا في نجاة كل من يقرأ هذه الصفحات، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص٢٦٩-٢٧٠ - الراغب الأصفهاني.
(٢) مدارج السالكين ١-٢٧٨.




لمـــــاذا
الكسل ؟!

١. خسارة الدنيا

الكسل حسرة الدنيا قبل حسرة الآخرة، وخسارة معجلة تمهد لأخرى مؤجلة، قال **ابن الجوزي** رحمه الله:

«وأي عيش لمن ساكن الكسل إذا رأى أقرانه قد برزوا في العلم وهو جاهل، واستغنوا وهو فقير، فهل يبقى للالتذاذ بالكسل والراحة معنى؟!»[١].

وهو فوات أرباح وضياع فرص كما رآه **أبو الفتح البستي** فقال:

وهل سمعت بإنسان جنى عسلاً ... يا سخنة العين من كوارة الكسل

فإلى كل مكسال ومكسالة.. ما اشترى العسل من اقتنى الكسل، وكل هوينا تورث الهوانا.

وبالعكس من الكسل تأتي بركة الحركة وثمرة الهمة، وذلك مشاهد في كل مناحي الحياة حتى في رقعة الشطرنج!! قال **ابن القيم**:

«أقل ما في الرقعة البيذق[٢]، فلما نهض تفرزن»[٣].

فمن قواعد اللعبة أنه إذا تحرك (البيذق)، ومضى إلى آخر الرقعة ترقى في المنزلة فصار (وزيرًا)، وذلك ببركة حركته وانعدام كسله وعلو همته وعدم استصغار شأنه.

فإذا أردت أن يظل ذكرك مغمورًا بين أهل الأرض والسماء، فأنا أدلك على الطريق وما أيسره:

ارتد رداء الكسل صباحًا، وتلحف بغطاء الراحة مساء، وأبشر بخمول ذكرك، ودنو قدرك، وخسارة معركة العمر، من جراء كسلك!!

(١) صيد الخاطر ص ٣١٤ - ابن الجوزي - ط ١ دار القلم.
(٢) البياذقة هم الرجالة واللفظة فارسية معربة، وسموا بذلك لخفة حركتهم وأنهم ليس معهم ما يثقلهم.
(٣) الفوائد ص ٤٥ - ابن قيم الجوزية - ط ١ الكتب العلمية.

وعلى نطاق الأعمال والتجارات تؤكد بعض الدراسات أن معظم مليونيرات العالم كانوا عصاميين[١] وبدأوا من الصفر، ونفس الدراسات تؤكد بأن أكثر من ٩٠٪ من ورثة الملايين يستهلكون هذه الثروة بسرعة، وفقط ٥٪ هم من يحافظون عليها.

وعلى نطاق الدول:

دولة صغيرة المساحة محدودة الموارد كاليابان تصنع أعظم اقتصادات العالم، ودول إسلامية حباها الله من الثروات البشرية والطبيعية ما لا حصر له، لكن إرادتها مسلوبة وهمتها خامدة وأولوياتها مختلة، فكان الفشل حليفها والتخلف محجوزا باسمها.

والكسل طريق انهيار الشعوب والأمم، وانكسار الدول والحضارات، ولهذا لما سئل بعض البرامكة عن سبب زوال ملكهم، قال:

«نوم الغدوات وشرب العشيات»[٢].

٢. آفة العبادة

قال عبد الله بن عباس ﵄:

«لكل شيء آفة، وآفة العلم النسيان، وآفة العبادة الكسل»[٣].

---

(١) يقولون لمن يفتخر بنفسه عصامي، ولمن يفتخر بآبائه عظامي، ومن طرائف ما جاء في مجمع الأمثال ٢/ ٣٣١ أنه دخل على الحجاج رجل مشهور بالجهل، وكانت له إليه حاجة، فقال في نفسه: لأختبرنه، فقال حين دخل عليه: أعصاميا أنت أم عظاميا؟ يريد أشرفت أنت بنفسك أم تفخر بآبائك الذين صاروا عظاما؟ فقال الرجل: أنا عصامي وعظامي، فقال الحجاج: هذا أفضل الناس، وقضى حاجته، وزاده، ومكث عنده مدة، ثم فاتشه فوجده أجهل الناس، فقال له: اصدقني وإلا قتلتك، قال له: قل ما بدا لك وأصدقك. قال: كيف أجبتني بما أجبت لما سألتك عما سألتك؟ قال له: والله لم أعلم أعصامي خيرٌ أم عظامي! فخشيت أن أقول أحدهما فأخطئ، فقلت: أقول كليهما، فإن ضرني أحدهما نفعني الآخر، وكان الحجاج ظن أنه أراد أفتخر بنفسي لفضلي وبآبائي لشرفهم، فقال الحجاج عند ذلك: المقادير تصير العي خطيبا، فذهبت مثلا.

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ١/ ٣٨٧ – محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي– ط ١ دار القلم العربي.

(٣) قوت القلوب –أبو طاهر المكي– ط ٢ دار الكتب العلمية.

❊ يتسامى الإنسان في شهر الصيام ويحلق في آفاق عالية من أجواء الخشوع والنقاء، ثم سرعان ما يهوي من شاهق إلى واد سحيق، فيرجع إلى ما كان عليه قبل شهر الصيام.

❊ يحج المرء أو يعتمر فيرجع بحزمة من العهود والمواثيق مع ربه، ومع مرور الزمن تذهب وعوده أدراج الرياح، فيكسل ويفتر!!

❊ يعزم الرجل على حفظ كتاب الله فيواظب شهرًا أو بعض شهر، ثم يتوقف وينسى ما حفظه، ليصبح استئنافه أصعب والعودة أبعد.

وهذا جانب واحد من جوانب الكسل وهو المجال العبادي، يكسل عنها العبد فيعتادها أولاً، ثم تفقد العبادة روحها، لتموت أثرًا قبل أن تموت جسدًا بأن يتوقف الإنسان عنها ولا يحافظ عليها.

إن الكسل المصحوب قد يصحبه ثقل المهمة، ولو درى الكسول ثمرة التعب والمشقة لهرب من كسله كما قال **الزمخشري** في ربيع الأبرار:

«التعبد يثقل على أهله كثقله في الميزان، والكسل يخف على أهله كخفته في الميزان»[١].

٣. جولة يومية في صراع أبدي

يستهدف الشيطان العبد عند نومه، إذ في النوم انعدام حركة الخصم وجمود نشاطه، والشيطان أقرب ما يكون من العبد على هذه الحال، بل أقوى ما يكون عندها لأنك أضعف ما تكون وقتها.

يهجم العدو ليلاً، مغتنمًا هذه الفرصة السانحة، ويبيت على خيشوم العبد[٢] في ظل غياب الحواجز وانعدام المقاومة، ثم يعقد عقده الثلاث التي أخبر عنها النبي ﷺ،

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ٣/ ٤٠٢ –جار الله الزمخشري– ط ١ مؤسسة الأعلمي بيروت.
(٢) في الحديث «إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ، فليستنثر ثلاثا، فإن الشيطان يبيت على خيشومه». كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٣٩٦١ وصحيح الجامع رقم: ٣٣٠.

وكسل النفس أو نشاطها سائر اليوم هو بحسب هذه العقد الثلاث، فإذا وثب العبد من فراشه فجرًا أو قبل الفجر خنس الشيطان وانحلت عقدة، فيذهب عن العبد من الكسل بمقدار ذلك، فإن واصل العبد يقظته وقام فتوضأ انحلت العقدة الثانية، وزاد نشاطا إلى نشاطه، فإن واصل تفوقه على عدوه فصلى انحلت العقدة الثالثة والأخيرة، وبطل كيد الشيطان، وباءت خطته بالفشل، ونجوت من الفخ الذي نصب لك، لتصبح نشيطًا طيب النفس.

قال رسول الله ﷺ:

«**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها، فأصبح نشيطا طيب النفس و إلا أصبح خبيث النفس كسلان**»[(١)].

وبذا تدرك أنك أمام هجمة إبليسية يومية تستهدف منابع القوة لديك، وشل إرادتك من الأساس، وحسم معركة اليوم من أول ساعة، فإما أن ترفع راية الاستسلام بكسلك وغفلتك عن ذكر ربك، وإما أن تسل سيوف الذكر وتطلق سهام اليقظة في هجمة إيمانية جريئة ضد عدو متبجح لا يتورع عن استهدافك بغاراته كل ليلة، فأرنا شجاعتك يا مقدام!!

٤. أمر الله لأنبيائه

قال الله تعالى مخاطبًا نبيه:

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾

(١) صحيح: رواه أحمد والشيخان وأبوداود والنسائي عن أبي هريرة كما صحيح الجامع رقم: ٨١٠٧.

يا محمد!!

لا راحة في دنياك!

ولا راحة إلا في الجنة!

بعد الفراغ من المهمات الجليلات ينتظرك طول الركعات..

فالواجبات لا تنتهي، والمهام لا تنقضي، ولا فراغ إلا في الآخرة.

والراحة الدنيوية في حقيقتها غفلة عن الجائزة الأخروية..

وهي وصية الله لأولي العزم من الرسل، فهذا موسى عليه السلام وأخوه هارون يأتيهما الأمر الإلهي:

﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾

قال **ابن عباس** في التفسير: لا تبطئا، وقال ابن زيد: الواني الغافل المفرط.

يقال ونى فلان في هذا الأمر وعن هذا الأمر: إذا ضعف.

والونا: الفترة في الأعمال والأمور، والتواني والونا: ضعف البدن.

فالأمر الرباني هنا هو بعدم التكاسل عن الذكر والغفلة عنه، بل ذكر الله لابد أن يكون بنشاط وهمة، وهو أمر منصرف إلى نبي من أولي العزم من الرسل، ومن باب أولى إلى من هو دونه في المنزلة وأحوج منه إلى الموعظة.

٥. صعود وهبوط

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إن لكل عمل شِرَّة، ولكل شِرَّة فترة، فمن كان فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك»[1].

---

(١) صحيح: رواه البيهقي عن ابن عمرو كما في صحيح الجامع رقم: ٢١٥٢، والشـرة: هي القوة والنشاط، ويقابلها

تأبى الطبيعة البشرية أن تسير على وتيرة واحدة من العمل، فالنفس ملولة، والشيطان متربص، والجنة محفوفة بالمكاره.

والعاقل يجعل من لحظات الفتور استراحات يلتقط فيها أنفاسه، ويسلي نفسه فيها بمباحات، ويستجم بشيء من الباطل يتقوى به على الحق.

إن معرفة طبيعة النفس وسياستها خاصة في مواسم الكسل والفتور لهو أعظم ما يعين على حصار ضعفك وتقليل خسارتك إلى أدنى ما يكون، وبذالك ينجيك الله من مهلكتين عظيمتين:

❋ الكسل الطويل الذي يحرم الخير الكثير، وما يتبع ذلك من خسارة فادحة من نعيم الجنة.

❋ الكسل المؤدي إلى الوقوع في الحرام، فقل أن تجد فتورا طال إلا وأدى بصاحبة إلى ذنب أو تفريط في فريضة، وذلك أن الكسل إشارة تحذيرية صفراء مفادها أنك توشك أن تنتقل إلى الدائرة الحمراء: دائرة الحرام، فمن سمع جرس الإنذار الذي انطلق عند تسرب الكسل عبر قلبه الحي، فقد قطع الطريق على الشيطان سارق الإيمان.

ولذا كان من أهداف هذه الرسالة تقليل الفتور إلى أدنى درجاته، ومعرفة كيفية التعامل مع هذا الضيف الثقيل إذا نزل، بل وطرده عند أقرب فرصة.

وقد أبكى هذا الفتور **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه حين مرض، فجعل يبكي، فعوتب، فقال: إني لا أبكي لأجل المرض لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول المرض كفارة، وإنما أبكي أنه أصابني حال فترة، ولم يصبني في حال اجتهاد لأنه يكتب للعبد من الأجر إذا مرض ما كان يكتب له قبل أن يمرض فمنعه المرض[1].

الفترة: وهي الضعف والكسل.

(١) في الحديث: «إذا مرض العبد أو سافر كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحا مقيما». صحيح: رواه البخاري وأحمد عن أبي موسى كما في صحيح الجامع رقم: ٧٩٩.

٦. الوباء العام

في ظل غياب هدف عام تجتمع عليه الأمة، وتشحذ له قواها مع سيادة ثقافة اليأس والإحباط لدى الكثيرين صار الكسل وباء عاما، ومن الأهداف:

أهداف اقتصادية..

بأن تتحرر الأمة من تبعة الاستغلال الغربي وتكتفي ذاتيا، فتأكل مما تزرع، وتلبس مما تنسج بدلا من أن تكون عالة على أعدائها.

أهداف سياسية..

بأن تمتلك إرادة سياسية مستقلة، ومعاملة غيرها من الدول معاملة الند بالند لا السيد بالعبد.

أهداف إيمانية..

لهداية الخلق والأخذ بأيديهم إلى رحاب الله.

وعندما تغيب هذه الأهداف يدب الكسل في أوصال الأمة لتغزوها التفاهات والترهات والمنكرات، قدرًا مقدورًا لمن لم يصنع لنفسه هدفا أسمى فهوى إلى القاع.

٧. شعار الإسلام النشاط

في صحيح البخاري:

«إن الله تعالى يحب العطاس ويكره التثاؤب»[١].

والسر في ذلك أن العطاس دليل على خفة بدن ونشاط، والتثاؤب علامة على

---

(١) صحيح: رواه البخاري وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ١٨٨٣.

ثقل البدن وامتلائه واسترخائه فيميل إلى الكسل، فأضافه إلى الشيطان؛ لأنه يرضيه ويسعده ويجره إلى الشهوات، فالتثاؤب رمز الكسل وشعاره، ومقدمة النوم ودثاره، وسلاح من أسلحة الشيطان، وجند من جنده، بعكس العطاس الذي ينفض عنك غبار الكسل ويجدد الحيوية في الجسد لذا نسبه الرحمن إلى نفسه، ولذا يرى بعض العلماء أنه يكره إظهار التثاؤب بين الناس مع القدرة على كفه، وإن اضطر إليه تأخر عن الناس وفعله.

٨. المهمة المزدوجة

قال رسول الله ﷺ:

«إن من الناس ناسا مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس ناسا مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل اللّه مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل اللّه مفاتيح الشر على يديه». تخريج

المصلحون على ثغر الأمة قائمون لا يغفلون ولا ينامون، لأنهم إن فعلوا جنوا على أنفسهم وعلى أمتهم من ورائهم، وهلكوا وأهلكوا، وإن تاه المرشدون ضلت السفينة الطريق وتحطمت عند أقرب صخرة، وإذا نام الحارس وقع الكنز لقمة سائغة في أيدي اللصوص.

فلا تجعل الهدف من وراء هذا الكتاب أن تنفي عن قلبك الكسل فحسب بل أن تؤدي هذه المهمة مع الآخرين، ونهضة الأمة لا تبدأ إلا إذا كان فيها من يحمل هذا الهمَّ ويتبناه، وإن من أهم صفات الطائفة المنصورة:

إحياء قلوب الغافلين وبث الروح في الخاملين.

ما هو الكسل؟!

لغة:

كسل عن الشيء كسلاً: تثاقل وفتر عما لا ينبغي أن يتثاقل عنه، فهو كسل وكسلان، والجمع: كسالى وكسلى، وهي كسلة وكسلى وكسلانة.

(أكسل) الأمر الرجل أي جعله متثاقلاً.

(تكاسل) تعمد الكسل.

(استكسل) المتكاسل اعتل بوجوه الكسل.

(المكسلة) ما يؤدي إلى الكسل، يقال الفراغ مكسلة، وفلان لا تكسله المكاسل: لا تثقله وجوه الكسل[١].

اصطلاحًا:

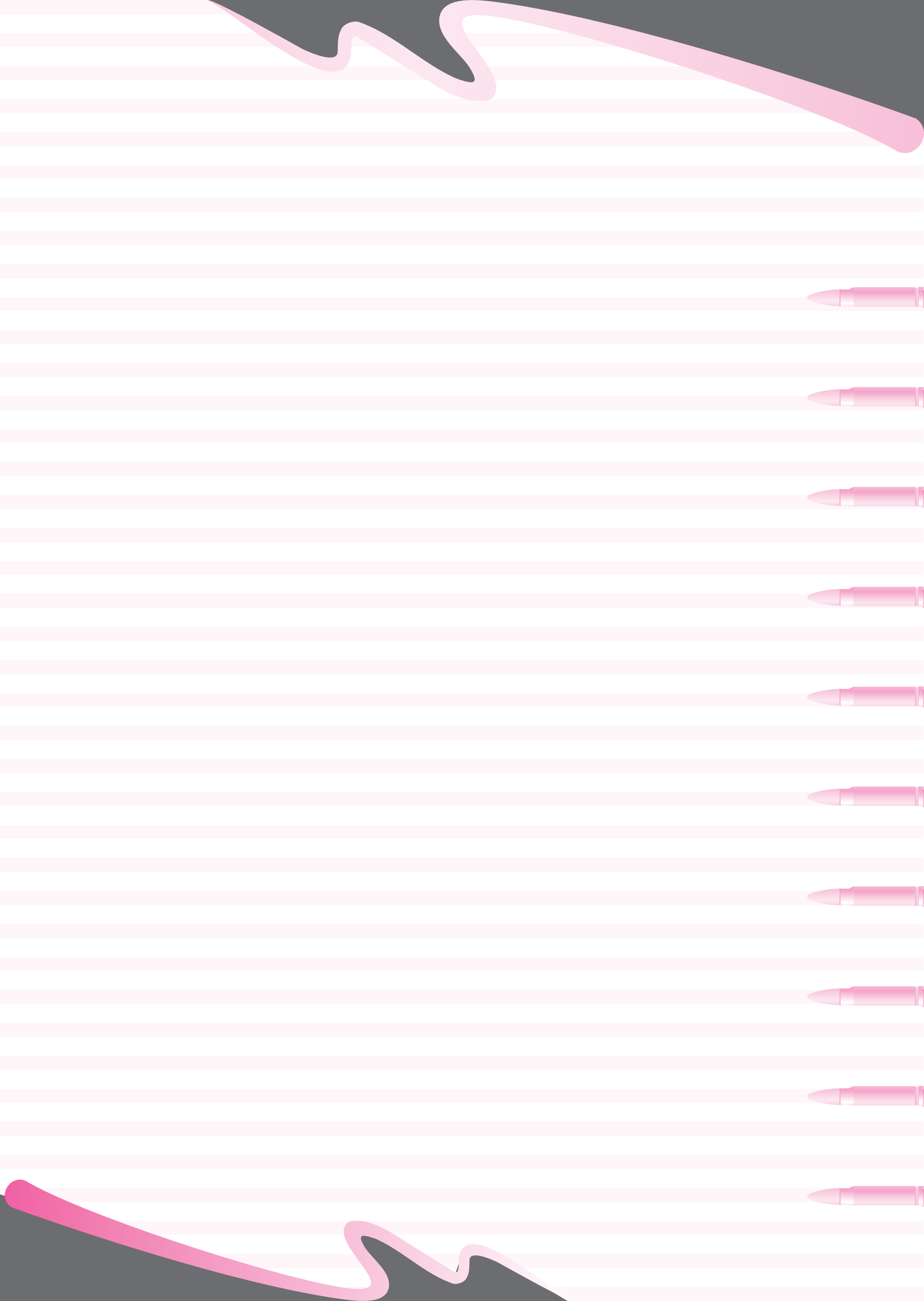
الكسل كما يقول الإمام **النووي** هو: «عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة مع إمكانه»[٢].

أو هو كما يقول **الطيبي**:

«التثاقل عما لا ينبغي التثاقل عنه»[٣].

---

(١) المعجم الوسيط ٢/ ٤٩٢ بتصرف.
(٢) شرح النووي على مسلم ١٧/ ٢٨ – ط ٢ دار إحياء التراث.
(٣) مرقاة المصابيح ٤/ ١٦٥١ – ط ١ دار الفكر بيروت.





طلقات في قلب الكسل



الـدعـــاء

الطريق الأول: الاستعاذة من الكسل..

روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال لأبي طلحة ﷺ: «**التمس غلامًا من غلمانكم يخدمني حتى أخرج إلى خيبر**»، فخرج بي أبو طلحة مردفي، وأنا غلام راهقت الحلم، فكنت أخدم رسول الله ﷺ إذا نزل، فكنت أسمعه كثيرًا يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال**»(١).

وكان هذا الدعاء ديدنه صباحًا ومساءًا:

«**رب أسألك خير ما في هذا اليوم (الليلة) وخير ما بعده (بعدها)، وأعوذ بك من شر ما في هذا اليوم (الليلة) وشر ما بعده (بعدها)، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر**»(٢).

وغياب القدرة نوعان:

* غياب قدرة قدري لا حيلة لدفعه وهو (سوء الكبر) وآثار الهرم والتقدم في العمر.

---

(١) صحيح: رواه البخاري عن أنس بن مالك كما في صحيح البخاري رقم: ٢٨٩٣.
(٢) صحيح: رواه الترمذي عن عبد الله بن مسعود كما في الكلم الطيب رقم: ٣٢٢٨.

* غياب قدرة كسبي وهو (الكسل) الذي يحاصر النشاط ويبعث على الدعة والخمول.

ولذا استعاذ النبي ﷺ من هذين النوعين معًا، فكان يدعو بهذا الدعاء صباحًا يستعين به على أعباء النهار من دعوة وجهاد وملاقاة الأعداء، ويدعو به ليلاً ليستعين به على أعباء الليل من صلاة وذكر ومناجاة.

وللاستعاذة معنيان:

الأول: [الالتجاء والاستجارة]، و[التحيز إلى الشيء، على معنى الامتناع به من المكروه].

لذا [يقال: عذت بفلان واستعذت به؛ أي لجأت إليه، وهو عياذي؛ أي ملجئي].

والثاني: [الالتصاق].

قيل لأعرابي: ما أطيب اللحم؟ قال: عوذه، وهو ما التصق من اللحم بالعظم، ويقولون لكل أنثى إذا وضعت: عائذ، وتكون كذا سبعة أيام، وإنما سميت لملازمة ولدها إياها.

والالتصاق هنا بمعنى الرحيل إلى رحاب الله لدفع مكروه..

قال **عمرو بن عفان المكي**: «لقد علم الله نبيه ما فيه الشفاء، وجوامع النصر، وفواتح العبادة، فقال:

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾»[1].

فالاستعاذة إذن دعاء بدفع ضرر واقع، فإذا حضر قلبك معه زادت فاعلية الدواء واقترب الشفاء، وكلما تكررت الجرعة قوي الأثر واندفع الضرر، ولذا أوصاك **حذيفة بن اليمان** رضي الله عنه بحضور القلب ووجله عند الدعاء ليكون أقرب إلى القبول

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ١٣٦- أبو بكر البغدادي- دار الغرب الإسلامي - بيروت.

وأرجى لبلوغ المأمول، فقال:

«يأتي عليكم زمان لا ينجو فيه إلا من دعا دعاء الغريق»[1].

الطريق الثاني: سؤال الثبات والعون..

سؤال الثبات

قال رسول الله ﷺ موصيًا:

«يا شداد بن أوس!! إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة فاكنز هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم.. إنك أنت علام الغيوب»[2].

ولاحظوا أن أول دعوة من أحد عشر دعوة كانت (الثبات في الأمر)، وكأن الثبات مفتاح كل خير ومقدمة أي فضل.

وضد الثبات الانقطاع، وأول طريق الانقطاع: الكسل، فمن سار في طريق الكسل أخطأ منازل الثبات.

ولما كانت مفاتيح كل خير بيد الله وحده، وكل الخلق في أمس الحاجة إلى الخير، كان لا مناص من طرق باب الإله الجليل لنستمطر منه الثبات بكافة صوره:

- الثبات على الدين فلا ارتداد.
- الثبات على الطاعة فلا فتور أو انتكاس.
- الثبات على الهداية فلا زيغ ولا ضلال.

---

(١) سلاح المؤمن في الدعاء والذكر ص ٣٩- تقي الدين بابن الإمام - دار ابن كثير - دمشق - بيروت.
(٢) صحيح: السلسلة الصحيحة رقم: ٣٨٨٨.

- الثبات على المبدأ فلا مساومة عليه أو التقاء في منتصف طرق.
- الثبات على الوفاء فلا غدر أو احتيال.
- الثبات على العفة والحياء فلا مسايرة لصحبة فاجرة أو بيئة جارفة.

كلنا فقراء!!

ورسول الله على جلال قدره وقربه من ربه ما كان ليثبت على الحق إلا بتثبيت الله له، حتى خاطبه ربه:

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٤ - ٧٥].

وهو من هو في مقام النبوة ودرجات الاصطفاء، فماذا عن من دونه وهو من هو في تقلب القلوب وتحكم الأهواء!!



رسول الله كان أكثر دعائه: اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، وهو دعاء بصلاح الدين على كماله لديه، فماذا عن من يغفل عن هذا الدعاء مع شهادة أوزاره عليه، وحتى إذا انطلق لسانه بالدعاء كان لصلاح دنياه ناسيا دينه!!

أسائلك:

ما مقدار حاجتك لهذا الدعاء مقارنة بحاجة المعصوم إليه ﷺ؟!

أم كيف تشكو فتورًا وتنسى أن تدعو ربًا غفورًا؟!

إن الجريح يصرخ طالبا النجدة، وأنت إيمانك مجروح منذ زمن، فما بالك لا تدعو مستغيثًا أو تبكي مستجيرًا؟!

إن الله عز وجل عنده خزائن كل شيء، ومنها خزائن العزم والرشاد والهداية والسداد، وبهذا انقسم الناس إلى صنفين:

- صنف دعا الله بالثبات فأعطاه إياه وهداه..
- وآخر نام عن السؤال فرجع بالحرمان والزيغ والعصيان.

العاجز الحقيقي!!

ما أشد كسله !!

من صمت عن رجاء رب وهاب ودعاء جامع مستجاب، فلم يقو على مجرد النطق بكلمات يسيرات..

ما أقبح غفلته !!

من غفل عن أقوى سلاح مع أنه لا يكلف غير حضور قلب وتحريك لسان!!

ما أضعف حجته !!

من سقط من شاهق الطاعات إلى بئر الغفلات دون أن يلتجأ إلى جبار الأرض والسماوات!!

ولهذا قال نبينا ﷺ:

«أعجز الناس من عجز عن الدعاء»[1].

إن الخوف من الأسد يدفع إلى الاحتماء منه داخل الحصون، والخوف من هجمة الكسل ليس لها سوى الالتجاء إلى ركن شديد وحمى رب مجيد، لأنه لا يعلم النفس مثل خالقها، وليس أدرى بالصنعة من صانعها.

(١) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب كما في صحيح الجامع رقم: ١٩٢٤.

وسؤال هام:

من الذي أعان الأنبياء من قبلنا؟!

من الذي وفق الصالحين للطاعات في وجه الابتلاءات وصنوف المغريات؟!

أإله مع الله؟!

إن روعة الكرم الإلهي وتتابع الجود الرباني يغري كل معرض بالإقبال، ويقذف لليائسين طوق النجاة، ويحرك القلوب الجامدة منذ سنين، ومن أكرم من أكرم الأكرمين؟!

وهو ما فطن له **ابن الجوزي** فكان كثيرًا ما يصيح في الكسول الخامل:

«تعرض لمن أعطاهم، وسل فمولاك مولاهم»[١].

سؤال العون:

قال النبي ﷺ:

«يا معاذ! والله إني لأحبك، أوصيك يا معاذ: لا تدعنَّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[٢].

وهذا الدعاء تحفة نبوية اختص بها نبينا من اشتد حبه له حتى أقسم على ذلك، ولا شك أن المحب لا يدخر لحبيبه إلا كل خير، وإنما أعلمه بالمحبة قبل نصيحته ليكون في غاية الاستعداد لما يلقى إليه، وهي وصية مشددة بنون التوكيد لأهميتها

---

(١) المدهش ٤٢٨ - ابن الجوزي - دار الكتب العلمية.

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبوداود والنسائي عن معاذ بن جبل كما في صحيح الجامع رقم: ٧٩٦٩، وقد جمع الدعاء بين عمل القلب واللسان والجارح، فقوله: (ذكرك): طاعة اللسان، (وشكرك): طاعة القلب، (وحسن عبادتك): طاعة الجوارح والأركان.

وخطورة إهمالها «**لا تدعنَّ**»، وفحوى النصيحة: سؤال الله العون عند كل الأحوال؛ فإن أصابتك نوبة فتور وكسل كان جرعة علاجية، وإن كنت نشيطا ذا همة كان هذا الدعاء في حقك جرعة وقائية، فإذا أردت أن لا تصاب ببرد العزيمة ووهن القوة، فتناول خمس جرعات عقب خمس صلوات في اليوم والليلة.. هذا هو مقدار الجرعة النبوية التي وصفها لك نبيك ليداويك وبها يهديك.

إن الأكثر دعاء اليوم هو الأوفر حظًا في الاستمرار والأعظم ثباتًا والأعلى همة ونشاطًا، وما كان سؤال العون والمدد على بال عبدٍ إلا أعانه الله، ولا غاب عنه إلا وُكِل إلى نفسه فهلك، فاختر لنفسك!





الخوف من السقوط في فخ النفاق

لو لم يكن للكسل شؤم سوى أنه سمة المنافقين الأبرز لكفاه، ولذا فضحهم ربهم في قوله:

﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾.

وأنت تلمح في هذه الآية نوعان من الكسل:

- **كسل بدني** عن الطاعات، يدفع إلى التخلف عن الصلوات، وأظهر ما يكون كل يوم في اختباري الفجر والعشاء، ولذا فالمنافقون يتخلفون.
- **وكسل نفسي** يدفع إلى التلكؤ في البذل، والتردد وعدم الإقدام في مواطن الخير، وحجز المقعد الأخير في قائمة المضحين، فإن ضاق عليهم الخناق أدوا الطاعة باختناق، وجعلوا لهم فيها مآرب أخرى، ولذا فالمنافقون يراؤون.

وتاريخ صراعنا مع الشيطان يخبرنا أن (العيوب ولادة)، وأن شهية الشيطان الإغوائية لن تقف عند حدود عيب أو عيبين، فما لم تصلح خللك وترقع الخرق الواقع بالمعصية، فإن الخرق سيتسع، وإذا اتسع فأخشى أن تجد إيمانك غارقًا في بحر الغفلات، ليموت القلب من جراحات السيئات، إلا أن تنتبه مبكرًا، لتمنع عدوك من مواصلة إفساده وتتابع غاراته.

حذيفة هذا العصر!!

ليت باب الجهاد كان مفتوحًا اليوم للجميع؛ نكشف به تسلل النفاق إلى قلوبنا.. بحسب جهادنا أو قعودنا..

ليت الوحي ما انقطع من السماء لينزل فاضحًا أسماء المنافقين مبعثرًا صفوف الأدعياء.

ليت حذيفة بن اليمان كاتم السر النبوي بيننا، يكشف أسماء المؤمنين والمنافقين بصلاته عليهم أو عدم صلاته[1]...

لكن.. لم تبق غير أعمالنا دليلاً ناصعًا على إيماننا أو نفاقنا، شرفنا أو عارنا، ولعل من أهم هذه الأعمال ما دلنا عليه **عبد الله بن عمر** رضي الله عنه حين قال:

«كنا إذا فقدنا الرجل في صلاة العشاء والفجر أسأنا الظن به»[2].

ومعنى أسأنا به الظن: ظنوا أنه إلى المنافقين ينتسب، وإليهم تميل كفته، فأعمالنا اليوم هي في حقيقة الأمر: (حذيفة هذا العصر)، أعمالٌ باحت بالسر حين غيب الموت كاتم السر!!

العرض السخي!!

سبيلان لا ثالث لهما:

سبيل المنافقين المؤدي إلى الدرك الأسفل من النار، وسبيل المؤمنين المؤدي إلى

---

(١) حذيفة بن اليمان كاتم سر رسول الله أخبره بأسماء المنافقين، وكان عمر ينتظره كل جنازة فيصلي عليها إن صلى حذيفة ليعرف أنها مؤمنة، أو يمتنع عن الصلاة عليها إن امتنع حذيفة، لنهي الله رسوله أن يصلي على المنافقين، ويقول له: يا حذيفة، نشدتك بالله هل سماني لك رسول الله؟ قال: لا، ولا أزكي بعدك أحدا.

(٢) صحيح الترغيب والترهيب رقم: ٤١٧.

منازل الأبرار وصحبة المختار، فاختر أي الطريقين شئت، ولست أنا صاحب هذا العرض، بل صاحبه رسول الله ﷺ حين قال:

«كما لا يُجتنى من الشوك العنب كذلك لا ينزل الأبرار منازل الفجار، فاسلكوا أي طريق شئتم، فأي طريق سلكتم وردتم على أهله»[(١)].

الكلام واضح والتمييز فاضح:

من سلك طريق المؤمنين نال جزاءهم ولحق بهم في منازل الجنة، ومن سلك سكة النفاق بما فيها من الكسل والانزلاق تسرب إليه داء النفاق، ثم انزلق إلى الدرك الأسفل من النار، ومن تشبه بقوم صار منهم.

الخوف القاتل!!

كان **لعمر بن عبد العزيز** أخ صالح، فلما تولى الخلافة دعاه فقال له: يا سالم.. أخاف ألا أنجو.

فقال:

«إن كنت تخاف فنعمًا، لكني أخاف عليك أن لا تخاف!!»[(٢)].

إنه الخوف الذي يقتل كل بادرة كسل أو مقدمة غفلة، مما يؤدي بالعبد إلى العمل الصالح والاستدراك السريع عقب أي زلة، ولقد خشي عمر بن الخطاب رضي الله عنه على نفسه النفاق مع أنه سمع بأذنيه البشارة من رسول الله ﷺ:

«وعمر في الجنة»[(٣)]

---

(١) حسن: رواه أبو نعيم في الحلية كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٢٠٤٦.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٣٢٩- أبو نعيم الأصفهاني - ط دار الكتب العربي، وتتمة الموعظة: «إن الله أسكن عبدا دارًا فأذنب فيها ذنبا واحدًا فأخرجه من تلك الدار، ونحن أصحاب ذنوب كثيرة نريد أن نسكن تلك الدار».

(٣) صحيح: رواه أحمد والضياء عن سعيد بن زيد كما في صحيح الجامع رقم: ٥٠.

لأن هذا سمت المؤمنين:

خوفٌ دافعٌ للعمل، ووجل طارد للكسل،

فمن خشي النفاق هرب من أهله، وتبرأ منهم بعمله قبل قوله.

وقد أبان شقيق **البلخي** الخط الفاصل بين فريقي الإيمان والنفاق حين قال:

«مثل المؤمن كمثل رجل غرس نخلة وهو يخاف أن يحمل شوكًا، ومثل المنافق كمثل رجل زرع شوكًا وهو يطمع أن يحصد تمرًا»[١].

ويكفيك أن تعرف أن نبينا قد توعد من فرط في صلاته ولم يحافظ عليها بأنه يحشر يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف، فالتخلف عن فريضة وعدم الانتظام فيها يقرن العبد بقادة الكفر وسادته، ويسلسله معهم في قيد واحد نحو جهنم، وفي ذلك إشارة لا تخفى على عاقل:

أن من اشترك مع طائفة في عملها لقي نفس جزائها، فهل سكن الخوف قلوبنا من عاقبة خمولنا وطول سباتنا؟!

وهو ما سماه بعض الصالحين:

قانون التماثل!!

ونصه:

(النظير يأخذ حكم نظيره، وإن ما يجري على الشيء يجري على نظيره، ويستحيل أن يفترق المتساويان في الحكم، كما يستحيل أن يتساوى المختلفان في الحكم)[٢].

* إن قصَّرنا في صلاة الفجر، فقد شاركنا المنافقين لذة الفراش، لتكون التبعة

(١) صفة الصفوة ٢/ ٣٣٩- ابن الجوزي- ط دار الحديث بالقاهرة.
(٢) مجلة التربية الإسلامية ص ٢٦ نقلا عن كتاب المنطلق.

الحتمية: سوء العذاب وشدة الحساب إلا أن يتوب علينا رب رحيمٌ تواب.

* إن وعدنا فأخلفنا، أو حدثنا فكذبنا فقد استوجبنا ثلث نفاق!!

* إن أنفقنا فراءينا أو أتبعنا صدقتنا بالمن والأذى فقد اقتدينا بزمرة المنافقين، فكيف نستبعد أن نحشر في نفس الزمرة يوم يحشر الناس زمرا لرب العالمين..

أخي الخائف الوجل.. أبشر!!

إن خوفك من السقوط سيطرد الكسل عن قلبك فيتيقظ، وعن عقلك فيتقد، وعن جسدك فينشط، لتربأ بنفسك عن زلة قدم توقع في الهاوية.

فهل لنا أن نلجأ إلى واحة (الخوف من النفاق) تحمينا من الوقوع في مستنقع هذه السيئات، وتدفعنا دفعًا نحو معالي المهمات وفراديس الجنات.

ألا واعلم أن من قواعد التغيير الفاعلة أن (ما تحرق تحرك)، فاقترابك من النار يدفعك بعيدا عنها، وكل من أحرق قلبه الخوف تحرك ليحتمي من لفح النار ولباس العار، أما من لم يتحرك فعديم الإحساس ميت القلب في الأساس..

إن هذا الخوف هو أعظم دواء يعالح به الكسول ويبرأ به الخمول كما قال **ابن الجوزي** في كتابه الطب الروحاني:

«الخوف سوطٌ يساق به المتواني»[١].

(١) الطب الروحاني ص ٤٩ - ابن الجوزي - ط مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة.



اليقين بالجزاء

يا من باع كل شيء بلا شيء، واشترى لا شيء بكل شيء..

اسمع قول نبيك:

قال رسول الله ﷺ:

«لو أن رجلاً يخر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرمًا في مرضاة الله عز وجل لحقره يوم القيامة»[١].



إن حياة تقضيها في سجدة طويلة من يوم ولدت إلى يوم تموت لا تصلح على عظمة هذا العمل أن تكون ثمنًا للجنة، لأن العمر محدود وعملك فيه محدود، والجزاء -على روعته وعدم إمكان تخيله- غير محدود، ما لا عين رأت.. ولا أذن سمعت.. ولا خطر على قلب بشر..

فلما تلاقينا وعاينت حسنها　　　تبينت أني إنما كنت ألعب

أخي..

يا من أصابه زكام الكسل فلم يشم رائحة الجنة تسعى بين يديه!!

---

(١) صحيح لغيره: رواه الطبراني عن عتبة بن عبد الله كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم: ٣٥٩٦.

يا من نام تاركًا نعيم الجنة والقصور زاهدًا في وصال الحور!!

كيف تزاحم ساكني الفردوس بمناكب الكسل؟!

كيف الفوز بأغلى سلعة دون دفع الثمن؟!

فكيف بمن لم يعرف شيئًا عن الصفقة من الأساس؟!

بل كيف بمن اشترى النار بمعاصيه وعدم الإحساس؟!

ماذا يكون حاله يوم القيامة وليس في حوزته غير الإفلاس؟!

لمن فتح الله أبواب الجنة الثمانية إن لم تكن لك؟!

أيفتحها لك وتغلقها على نفسك؟!

أيغريك وتزهد؟!

أيقبل وتعرض؟!

إن اليقين بالعوض هو سائق النفس البشرية إلى العمل ومنقذها من هجمة الكسل..

لذا كان اليقين بثواب العبادات يمنع من التكاسل فيها، واسمعوا قول النبي ﷺ:

«لو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه»[1].

والتهجير: السير فى الهاجرة، وهى شدة الحر، ويدخل فى معنى التهجير المسارعة إلى الصلوات كلها قبل دخول أوقاتها؛ ليحصل للعبد فضل الانتظار قبل الصلاة، فجعل رسول الله ﷺ معرفة الأجر سببًا لاتقاء الكسل والوثبة نحو العمل.

وإن التكاسل عن كثير من الأعمال كثيرًا ما يكمن في عدم معرفة ثوابها أو الغفلة

---

(١) صحيح: رواه الشيخان عن أبي هريرة كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم: ٢٣١.

عنه، ولذا وصف النبي ﷺ المتخلفين عن صلاتي الفجر والعشاء بقوله:

«**ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا**»[1].

أي لو يعلمون قدر ثوابهما لما تخلفوا عنهما ولو كانوا طريحي الفراش من شدة المرض، أو مقعدين لا يقدرون على الحركة، ولذا قال **أبو الدرداء** رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه:

«اسمعوا وبلغوا من خلفكم:

حافظوا على هاتين الصلاتين -يعني في جماعة- العشاء والصبح، ولو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حبوا على مرافقكم وركبكم»[2].

والمنافقون يعلمون، لكنه علم عقلي لا يجاوز العقول إلى القلوب، بمعنى أنهم لا يوقنون لذا يكسلون، فالقول قول مصدق أما الفعل فتكذيب في تكذيب!!

يا من إذا نصح قال أدري، وفعله فعل من لا يفهم ولا يدري!! ويحك!! ما أنت إلا كمن قيل فيه:

أقول له زيدًا فيسمع خالدًا ويكتبه عمرًا ويقرؤه بكرًا!!

أرباح تغري الموقنين!!

- كيف يكسل عبدٌ عن الصلاة على النبي ﷺ بعد ما سمع ثواب:

«**أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة**»[3]

هل يغفل عن صلاة على نبيه بالغدو والعشي[4]؟!

(١) صحيح: رواه ابن ماجة عن أبي هريرة كما في صحيح ابن ماجة رقم: ٧٩٧.
(٢) الاستذكار ١/ ٣٧٩- ابن عبد البر – ط ١ دار الكتب العلمية ببيروت.
(٣) حسن: رواه الترمذي كما في ضعيف الترمذي رقم: ٤٨٤ وضعيف الجامع رقم: ١٨٢١، ثم حسنه لغيره في صحيح الترغيب رقم: ١٦٦٨.
(٤) في الحديث: «من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة»، والحديث رواه

■ كيف يكسل عبدٌ عن الدعوة إلى الله بعد ما سمع ثواب:

«لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[(١)].

هل يفتر بعدها عن بذل وقت ومال في سبيل دعوته؟!

هل يصغي لتخذيل زوج أو تثبيط أهل؟!

هل يستسلم لتعب أو يسلم نفسه لوهن!!

هل تلهيه أرباح التجارات عن هداية الغافلين والغافلات؟!

■ كيف يكسل عبدٌ عن صلاة الفجر بعد ما سمع ثواب:

«من صلى الصبح فهو في ذمة الله»[(٢)]

فيغدو سائر يومه مطمئنًا إلى حراسة فرضها الخالق عليه وضمنها له.

■ كيف يغرق عبدٌ في ظلام الفراش بعد ما سمع بشارة:

«بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»[(٣)]

فيضمن بسيره في الظلمات يوما بعد يوم أن يجمع أشعة نوره الساطع، يزهو به في الناس يوم الحشر وهم حوله يتخبطون في الظلمة آلاف السنين!!

■ كيف يكسل عبدٌ عن صلاة تطوع في بيته بعد ما سمع مضاعفة الثواب:

«صلاة الرجل تطوعا حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أعين الناس خمسًا وعشرين»[(٤)].

الطبراني عن أبي الدرداء، و حسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: ٦٣٥٧.

(١) صحيح: رواه أبو داود عن سهل بن سعد كما في صحيح الجامع رقم: ١٥١١.

(٢) صحيح: رواه الترمذي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٦٣٣٨.

(٣) صحيح: رواه أبوداود والترمذي عن بريدة وابن ماجة والحاكم عن أنس وسهل بن سعد كما في صحيح الجامع رقم: ٢٨٢٣.

(٤) صحيح: رواه أبويعلى عن صهيب الرومي كما في صحيح الجامع رقم: ٣٨٢١، ولهذا ما رئي الربيع بن خثيم متطوعا في مسجد قومه قط الا مرة واحدة، وما رئي عامر بن عبد قيس متطوعا في المسجد قط!!

اليقين حامل الأثقال!!

ولهذا قال **ابن رجب**:

«من لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال»[1].

ووصف بعضهم أحد الموقنين بقوله:

بصيرٌ بأعقاب الأمر كأنما ... يرى بصواب الظن ما هو واقع

وضد الكسل النشاط، وكل نشيط ذو همة هو بلا شك صاحب يقين بالثواب واثق في الجزاء.. قال **ابن الجوزي**:

«من تخايل الثواب خفَّ عليه العمل»[2].

إخوتاه..

الجد الجد فما تحتمل الطريق الكسل..

ويحكم!! ما هذا الفتور والجد والنشاط وحدهما مهور الحور!!

أين العمل المبرور يا مغرور؟!

لا عمل نقي ولا قلب تقي

بل سرور بغرور، وسهو في لهو

ففوزك بالجنة إذن معجزة من المعجزات!!

ويحك!!

كسلك عن الطاعات لا يقابله كسل عن السيئات!!

وتثاقل عن الجنات في مواجهة تدافع نحو المهلكات!!

وعملٌ كهذا لا يرضى به أحد، فكيف يرضى به الأحد الصمد؟!

---

(١) الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي ٢/ ١٥٨ – دار العاصمة – المملكة العربية السعودية.

(٢) ذم الهوى ص ٥٩ – ابن الجوزي.

أمر نبوي نافذ!!

إخواني..

أرأيتم لو أن رسول الله ﷺ خاطب أحدنا مباشرة وقال له:

(يا فلان!! افعل كذا وكذا)..

فهل يجرؤ أحد منا على أن يتلكأ في تنفيذ الأمر؟

والسؤال:

ما الفارق بين أن يأتيك الأمر من رسول الله مباشرة، وبين أن يرسل إليك رسولاً؟

ما الفارق بين أمره بلسانه وأمره عن طريق كتابه ما دام في النهاية أمرًا؟!

يا من مواعيدهم مع الطاعات عرقوبية، وأحزانهم على فقد الدنيا يعقوبية:

هل رأيتم تاجرًا يفتر عن ربح؟!

أو ينام عن صفقة رائجة تدر عليه أضعاف رأس ماله؟!

هل سمعتم أحدًا منهم يقول: سئمت من كثرة الأموال وتتابع الأرباح!!

فما لكم في حرث الآخرة تكسلون!! وفي ثوابها تزهدون!!

فيزوركم الفتور دومًا ويحل الكسل ضيفًا في غضون عام أو عامين، بل شهر أو شهرين.

جنة في ظل سيف!!

وكلما كان العمل صعبا كان استحضار الثواب أنفع، ولا أصعب من الجهاد، فهو بذل النفس والمال، وفراق الأهل والعيال، لذل كان النبي ﷺ يعرض هذه الجائزة في

ساحات القتال، فيقول:

«**الجنة تحت ظلال السيوف**»[1].

فإذا تلقى منا رجل وسام الشهادة، فلنعلم أن دمه لو أذن له في الكلام لصاح:

لا تشفقوا علي بل أشفقوا على أنفسكم أن لم تلقوا نفس مصيري..

لا تسكبوا العبرات حزنًا علي بل اسكبوها فرحا بما لدي.

لا تظنوها نهاية المطاف وخاتمة الرواية، بل هي والله أول المطاف وصفحة البداية..

بداية القصة الجديدة: الجنة ولا أروع!!

اليقين بالعقوبة!!

والجناح الثاني من اليقين هو اليقين بالعقوبة لمن عصى الأمر وخالفه، فاليقين بالعقوبة يقضي على الكسل المؤدي إلى الجريمة، وليس أوضح من صلاة الفجر يكسل عنها كثير من الناس، ولو علموا الجزاء لانتفضوا من الفراش يطلبون النجاة، واسمعوا نص العقوبة:

«**ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً يصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**»[2].

وتكاد أن تكون العقوبة جماعية تؤاخذ عليها الأمة جميعا بل أهل الأرض أجمعين كما قال **شداد بن أوس** رضي الله عنه:

«من أحب أن يجعله الله من الذين يرفع الله بهم العذاب من أهل الأرض، فليحافظ على هاتين الصلاتين في الجماعة صلاة العشاء وصلاة الصبح»[3].

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم والحاكم عن أبي موسى كما في صحيح الجامع رقم: ٣١١٧.
(٢) صحيح: رواه الشيخان عن أبي هريرة كما في مختصر إرواء الغليل رقم: ٤٨٦.
(٣) الاستذكار ٢/ ١٤٤.

هذا في شأن التكاسل عن عبادة من العبادات..

فكيف في شأن التكاسل عن غيرها من الواجبات؟!

خاصة لو كان متعلقًا بحقوق عبد من العباد!!!

أخي..

ما تساوي لذة المسروق إذا قيست بخجلة الفضيحة؟! فكيف بإقامة الحد وقطع اليد؟!

اسمع:

عن أبي مسعود **البدري** رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي: اعلم أبا مسعود!! فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يقول:

«**اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام**»(١)

فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا.

وفي رواية: فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى، فقال:

«**أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار**»(٢).

وفي هذا الموقف دروس عديدة هامة:

- معصية واحدة قد تتسبب في دخول صاحبها النار، فلا تستصغر ذنبًا بعد اليوم، ولا تحتقر إثمـًا.
- التوبة عمل وليست كلامًا، لأن الذنب لم يكن كلامًا، بل عملاً لا يمحوه سوى عمل مثله.

---

(١) صحيح: رواه مسلم عن لأبي مسعود كما في صحيح الجامع رقم: ١٠٧١.
(٢) صحيح: رواه مسلم وأبو داود والترمذي كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم: ٢٢٧٧.

- سرعة التوبة أرجى لقبولها، وتأخيرها يجعل القبول أبعد، لأن العبد ينسى ذنبه مع مرور الزمن فلا يتوب منه، ولأن الشيطان سيغتنم غفلة العبد فيفاجئه بذنب ثان يضعف مقاومته ويزيد قلبه مرضًا.

أما التوبة السريعة فور الوقوع في الذنب فهذا مثل اللديغ حوصرت جرعة السم عنده في الحال، واستخرجها الطبيب منه دون إمهال، وإلا هلك المصاب وشيَّعهُ إلى القبر الأصحاب.

- والدرس الأبرز هو أن اليقين بالعقوبة عامل أساسي دافع إلى سرعة التوبة، مانع من التكاسل فيها، خاصة إذا صدر الوعيد من أصدق لسان رأى العقوبة في النار بعينه، ثم أخبر عنها بأعظم بيان: رسول الله ﷺ.

وهل تتصورون أن أبا مسعود ضرب مملوكًا له بعد ذلك اليوم؟!

أو اجترأ على مظلمة؟! بعدما وعى التحذير من البشير النذير؟!





وضوح الهدف

إن الرؤية الواضحة للهدف تختصر المسافة إليه، وتحفز القوى الكامنة في النفوس لتحصيله وإدراكه، خاصة إذا كان الهدف هامًا ومشتركًا، ومثال ذلك ما أعلنه الرئيس الأمريكي **جون كيندي** عام ١٩٦٠م، حيث كان حريصًا على وضع هدف عظيم يحفز به الشعب الأمريكي، ويلهم أفراده في كل مكان فقال:

«إنني أعتقد أن هذه الأمة يجب أن تلزم نفسها بتحقيق هدف -قبل إنتهاء هذا العقد- بإنزال رجل على القمر وإعادته سالما إلى الأرض».

واعتنقت الأمة كلها هذا الهدف وسعت بكل ما تستطيع لتحقيقه، ليس فقط لبرنامج الفضاء بل أيضًا لكافة المبدعين في أجهزة الحكومة، حتى أن أحد الصحفيين قام بزيارة وكالة ناسا للفضاء، فلاحظ أن المهندسين والعلماء يعملون بسرعة محمومة، ولكن أكثر شيء أثار دهشة الصحفي هو حماسة عامل النظافة الذي كان يمسح الأرض، فقد توقف الصحفي وسأل عامل النظافة: ماذا تفعل هنا؟ عندها رفع عامل النظافة هامته ونظر إلى عين الصحفي مباشرة، وقال: أنا أساعد في إرسال أول رجل فضاء إلى القمر!!

ورغم اغتيال جون كينيدي عام ١٩٦٣، إلا أن هدفه لم يدفن معه، ففي عام ١٩٦٩ حقق الشعب الأمريكي حلمه، بعد أن تآزرت الأمة كلها لتحقيقه، بما فيها عمال النظافة!!

عرف أصغر عضو من أعضاء الفريق الهدف بوضوح، وأدرك أن معرفة (لماذا) أهم

كثيرًا من معرفة (ماذا) و(كيف)، فأدرك المحال وقارب الخيال.

إن معرفة الهدف هو أهم عامل تحفيزي للنفس يطرد عنها الكسل ويشعل فيها فتيل الشوق إلى العمل!!

ونحن السابقون!!

ولماذا أسوق نماذج الغرب البعيد وبين يدي روائع الشرق المجيد؟! فها هو جندي بسيط في الجيش المسلم في فتح بلاد فارس، بلغ من بساطته وفقره أنه أقبل مع سيفه الذي كان غمده قطعة ثوب خلق!!

نعم.. أقبل **ربعي بن عامر** حتى جلس على الأرض بين يدي رستم، فكلمه رستم وقال: ما جاء بكم؟! قال: الله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فمن قبل ذلك قبلنا منه، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى موعود الله.

قال **رستم**: وما هو موعود الله؟!

قال: «الجنة لمن مات منا على قتال من أبى، والظفر لمن بقي»(١).

أرأيتم وضوح رؤيا كهذه..

أرأيتم يقينا بالجزاء مثل هذا اليقين..

نحن قوم لا نعرف الهزيمة..

بل نحن فريقان فائزان: فريق فائز بالجنان، والآخر فائز في الميدان.

وإذا كانت هذه معرفة جندي بسيط فكيف بحال القادة والبقية؟!

وكانت هذه رؤية جميع أفراد الجيش، وهدفهم الذي كان بمثابة الحلم الذي يسعى الكل لتحويله واقعا ملموسًا، حتى أن أسيرًا مسلمًا لم نعرف له اسمًا في كتب التاريخ

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٥٢٠- أبو جعفر الطبري - دار التراث - بيروت.

أتي به إلى **رستم**، فإذا به يردد نفس الكلمات التي خرجت من نفس المشكاة، ويفصح عن ذات الهدف حين سأله **رستم**: ما جاء بكم وماذا تطلبون؟

فقال: جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وأبنائكم إن أبيتم أن تسلموا.

قال **رستم**: فإن قتلتم قبل ذلك!

قال: من قتل منا دخل الجنة، ومن بقي منا أنجزه الله ما وعده، فنحن على يقين.

فقال **رستم**: قد وضعنا إذن في أيديكم!

فقال: أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها، فلا يغرنك من ترى حولك، فإنك لست تجاول الإنس إنما تجاول القضاء والقدر، فضرب رستم عنقه!![1].

الأهداف الشامخة

هي وحدها من يطرد الكسل، وتستنفر كل ذرة جهد، أما الأهداف السهلة التي لا تتحدى ما في النفس من كنوز دفينة وطاقات كامنة، فهي تغري بالكسل وتدفع للخمول.

روي أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو الله أن يرزقه أعلى درجات الجنة، فقال له النبي ﷺ:

«إذن يراق دمك ويعقر جوادك»..

وهو قانون ساري..

من أراد أعلى درجات الجنة هناك لابد له من أعلى درجات البذل هنا..

وبقدر التعب تكون الراحة.. وبحسب الثمن المدفوع يكون المقام المرفوع..

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٥٠٨.

ومن طلب المقام العالي فلابد له من بذل الغالي..

فهمتم؟!

الغالي ثمنًا للعالي!! ليس غير!

أما الداني فيبعث على التواني والغرق في الأماني..

يحاول نيل المجد و السيف مغمدٌ ويأمل إدراك العلا و هو نائم

فاختر لنفسك ما شئت من أهداف تحييك وتشحذ همتك وتعليك.

أهداف ربانية وأخرى شيطانية

أخي..

إذا لم يكن لك هدف واضح في الحياة، فقد أسلمت زمامك للشيطان يصنع لك أهدافك، لكنها هذه المرة أهداف تهديك إلى النار، وتدنيك من سخط الجبار..

فليس الكسل فحسب هو مراد عدوك، بل ما وراء الكسل من استدراج إلى الزلل وسيئ العمل.

وما لم تبادر بأهدافك النبيلة فقد ارتضيت لنفسك أهدافًا أخرى وضيعة، فاختر لنفسك!!

وصف **الرافعي** واحدة من المؤامرت على هذا الجيل، فقال:

«وأن الشعب الذي لا يجد أعمالًا كبيرة يتمجد بها، هو الذي تخترع له الألفاظ الكبيرة ليتلهى بها»[1].

مؤامرة على الشباب حتى يصبح حب امرأة أسمى غاياته.

(١) وحي القلم ١/ ٨٥- مصطفى صادق الرافعي - ط ١ دار الكتب العلمية.

والفوز بمباراة أو بطولة أقصى طموحاته.

وشراء بيت أو مركبة جديدة محور حياته.

حتى ولو باع الآخرة في سبيل نيل ما أراد.

أمراض الأهداف!!

هذه بعض الأمراض التي تصيب الأهداف التي وضعت بالأساس لنزع الكسل والحث على العمل، فإذا بها لا تؤدي دورها المنشود، ولا تبعث همة ولا توقد عزما، وذلك لأسباب:

تحول الوسيلة إلى هدف:

ما هدفك من قراءة هذا الكتاب مثلاً؟

هل هو القراءة من أجل القراءة؟!

سيقول قارئ: هدفي المعرفة وزيادة العلم.

وثان: هدفي أن أزداد إيمانًا وأرتقي روحًا ووجدانًا..

وثالث: أن أعمل بما جاء فيه.

ورابع: أن أُعلِّمه لغيري[1].

في كثير من الأحيان يغرق الناس في الوسائل، وتغيب عنهم الأهداف والغايات، فلا يدركون ما يريدون، ولا يصلون إلى ما يحلمون، ومن ثم يفترون ويكسلون.

---

(١) والهدفان الثالث والرابع أي العمل وتعليمه هو بمثابة زكاة مفروضة على علمك، وليست تفضلا منك ونفلا، كما قال ذلك **محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي**: «واعلم أن لزكاة العلم ونحوه طريقين: أحدهما: تعليمه للعالم، فإن الله سبحانه وتعالى ينمي علمه بذلك ويزكيه. والثاني: العمل به، فإن العمل به أيضا ينميه ويكثره، ويفتح لصاحبه أبوابه وخباياه».

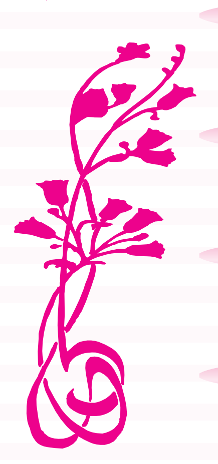
تجديد النية تدريب

إن تجديد النية عملية تدريب يومية على مدار الساعة لاستحضار الهدف ومعرفة الغاية من وراء كل عمل، وإن مجرد استحضار الهدف واستشعاره في القلب يضاعف أجر العمل، ويفاضل بين عامل وآخر في الفضل والثواب، حيث يتضاعف أجر العبد بحسب تعدد نواياه.

فهدف الصلاة: نهي عن الفحشاء والمنكر.

وهدف الصدقة: تطهير نفس وتزكية.

وهدف الصوم: التقوى.



وإذا لم توصل هذه العبادات إلى أهدافها فقدت معناها وطار ثوابها، وصار صاحبها كالممثل البارع الذي يؤدي أدوار الصحابة الأتقياء أول النهار، فيستنزل دموع المشاهدين ويأسر قلوبهم، ليخلع هذا القناع آخر اليوم فيغرق في ملذاته وشهواته، فالعبادة بغير هدف كمن ارتدى قميصا ثم خلعه، واجتاز معبرا ثم تركه، والمسلم الحق لا يرضى أن يدور في حلقة مفرغة لا يدرك بها هدفا أو يحصل نفعا.

ضعف متابعة الهدف:

في ملاحة السفن يدرك قائد السفينة أنه لا يكفيه أن يقلع في اتجاه هدفه، بل يجب عليه مراجعة مساره على مدار الرحلة، وكذلك صاحب الهدف، فإن ضعف متابعة الوصول إلى الهدف يؤدي إلى نسيانه مع مرور الزمن، فإذا تذكره العبد تحسر على فواته

فترة ثم رقد، وإلى النوم خلد.

هدف دون هدف:

* قد تجد الرجل نشيطا في عمله ومهنته، يحطم الأهداف التي وضعها له مديره واحدا تلو آخر، لكنه مع هذه الهمة يكسل عن دقائق معدودات يقضي فيها فريضة الصلاة بزعم أنه مشغول!!

* وآخر مجتهد في عبادته مقيم للشعائر حريص على النوافل، لكنه مهملٌ في عمله، مفرط في مهنته ملامٌ على تقصيره باستمرار!!

* وثالث نشيط في توجيه الناس ودعوتهم وغشيان مجالسهم، بيد أنه كسولٌ في تربية أبنائه وإرشادهم!!

* ورابع متفوق في الجانب العلمي حريص على التحصيل والإفادة، لكن علاقاته الاجتماعية تحتضر، تلتمس قُبلة الحياة بزيارة جار أو صلة رحم.



وتوازنك في أهدافك ضرورة، ونشاطك وهمتك لابد لهما من أن يتوزعا على الواجبات المناطة بك، وإلا كان نجاحك في ميدان هو عنوان فشلك في ميادين أخرى، وقد تكون ميادين أهم وأخطر.

عدم وضوح الهدف:

كل هدف يصعب تحديده أو قياس التقدم فيه يستحيل الوصول إليه، وإن عدم بذل الوقت في رسم أهدافنا وتحديدها سيضيع وقتًا أكبر في سبيل تحقيقها.

وقد شبه **أنتوني روبنز** من يضع له أهدافًا ومن لا يضع، بالطفل الذي يلعب بالألعاب التركيبية، حيث يرى الصورة الكبيرة أولاً ثم يشرع في تركيب القطع الصغيرة جنبًا إلى جنب بحسب الصورة التي رآها، فالشخص الذي لا يضع لحياته

أهدافا كمن يركب القطع الصغيرة دون أن يرى الصورة الأصلية، وتخيل عندها كم تكون مهمته صعبة إن لم تكن مستحيلة!

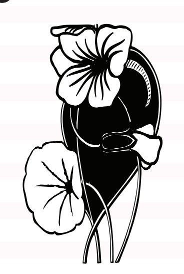
جمود الهدف:

حين يكون الهدف جامدًا غير مرن يتحول إلى عبء ثقيل، ويصبح عائقًا بدلاً من أن يكون حافزًا، مما يورث الإحباط، وتصبح أمام خيارين اثنين مع هدفك؛ أن تأخذه كله أو تتركه كله، أما إذا كان الهدف مرنًا؛ له حد أدنى وحد أعلى؛ كأن يخطط أحدنا لأن يقرأ كل يوم جزءًا من القرآن أو نصف جزء، أو يقوم كل أسبوع ليلة أو ليلتين، أو يقرأ كتابًا كل شهر أو شهرين، فهذا مما يخفف ضغط الهدف إلى المستوى الذي يضمن شحذ الهمة بدلاً من تحطيمها.

والمح ما وراء حديث النبي ﷺ:

«من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين»[1].

لتفهم براعة التربية النبوية، وتستمتع بمرونة التطبيق في أمر النافلة، وتتعلم التشجيع الرائع والدعوة المغرية من أعظم المربين، فهو لم يحمل الجميع على الهدف الأعلى وهو قراءة ألف آية في الليلة، بل جعل هدفا دونه أيسر وهو قراءة مائة آية، ودونهما هدف أيسر وهو قراءة عشر آيات، ليراعي تباين القدرات بين الأفراد، بل وتفاوت همة الشخص الواحد من وقت لآخر.



وفي الحديث الحرص على الحد الأدنى وإجبار النفس عليه لئلا تتعود الكسل، فلو تكاسل عن قيام الليل قلنا له قم بأقل ما تستطيع، ولا تنقطع عن عمل بدأته، واستعن بالله.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود وابن حبان عن ابن عمرو كما في صحيح الجامع رقم: ٦٤٣٩.

تواضع الهدف:

أخي..

حدد هدفًا عملاقًا لأنك في الأغلب لن تصل إلى أكثر مما وضعت، واعلم أنه لا يوجد سقف أعلى لما يمكن إنجازه في حياتنا إلا السقف الزائف الذي بنيناه في عقولنا!! وهو بعض ما استفدناه من وصية نبينا:

«إذا سألتم اللّه تعالى فاسألوه الفردوس»[1].

كان **كافور الإخشيدي** وصاحبه عبدين أسودين، فجيء بهما إلى قطائع أحمد بن طولون، صاحب الديار المصرية وقتئذ، ليُباعا في أسواقها، فتمنى صاحبه أن يباع لطباخ حتى يملأ بطنه بما شاء، وتمنى كافور أن يملك هذه المدينة، وقد بلغ كل منهما ما خطط له وتمناه!! فبيع صاحب كافور لطباخ، وبيع كافور لأحد قواد المصريين فأظهر كفاءة واقتدارًا، وما زال يجد ويجتهد حتى ملك مصر والشام.

وحدث أن مر كافور يومًا بصاحبه فرآه عند الطباخ بحالة سيئة، فقال لمن معه: لقد قعدت بهذا همته فكان كما ترون، وطارت بي همتي فكنت كما ترون، ولو جمعتني وإياه همة واحدة لجمعنا عمل واحد!!

بلا هدف؟!

في دراسة قامت بها إحدى الجامعات لعدد من الطلاب ممن تخرج قبل (١٠) سنوات، خلصت الدراسة أن:

* ٨٣٪ من الطلاب ليس لديهم أهداف، وأنهم يعملون بجد لكي يعيشوا، وليس لديهم أي خطط للمستقبل.

---

(١) صحيح: رواه الطبراني عن العرباض كما في صحيح الجامع رقم: ٥٩٢.

* ١٤٪ وضعوا أهدافا ولم يكتبوها، وكانوا يكسبون ٣ أضعاف دخل الذين ليس لديهم أي أهداف.
* ٣٪ كانت لديهم أهداف مكتوبة وخطط للتنفيذ، وكانوا يكسبون ١٠ أضعاف إجمالي دخل الذين من لم يضعوا لهم أهدافًا.

إلى من دب إليهم الكسل..

اجعلوا لكم هدفًا في الحياة تدركوا غاياتكم وتسبقوا غيركم، وتطلقوا عجزكم إلى غير رجعة.





المحاسبة

المحاسبة في ست كلمات:

كشفُ حسابٍ للأمس بهدف تصحيح الغد.

أو هي في تفصيل أشمل جاء على لسان **الماوردي**: «عليه أن يتصفح في ليله ما صدر من أفعال نهاره، فإن الليل أخطر للخاطر وأجمع للفكر، فإن كان محمودا أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموما استدركه إن أمكن وانتهى عن مثله في المستقبل»(١).

ومن أجل الآيات التي تحث على مراجعة النفس وقياس تقدمها قول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾. [الشورى ٣٠]

قال **الضحاك**: ما نعلم أحداً حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب، ثم قرأ:

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾.

ثم يقول **الضحاك**: «وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن»(٢).

---

(١) أدب الدنيا والدين ١/ ٣٥٦- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي – ط دار مكتبة الحياة.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٧٩- ط ٣ مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية.

ومن هنا قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** في كتابه (قاعدة في الصبر) موصيًا كل واحد فينا: «أن يشهد ذنوبه، وأن الله إنما سلط الناس عليه بسبب ذنبه، كما قال تعالى:

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾

فإذا شهد العبد أن جميع ما يناله من المكروه فسببه ذنوبه، اشتغل بالتوبة والاستغفار من الذنوب التي سلطهم عليه بسببها عن ذمهم ولومهم والوقيعة فيهم، وإذا رأيت العبد يقع في الناس إذا آذوه ولا يرجع إلى نفسه باللوم والاستغفار، فاعلم أن مصيبته مصيبة حقيقية، وإذا تاب واستغفر وقال: هذا بذنوبي، صارت في حقه نعمة..

قال **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه كلمة من جواهر الكلام:

«لا يرجون عبدٌ إلا ربه، ولا يخافن عبد إلا ذنبه، وروي عنه وعن غيره: ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة»[١].

معدل المحاسبة؟!

منا من يحاسب نفسه كل عام، فلا يتذكر أعماله وأهدافه إلا في رمضان.

وآخر يحاسب نفسه كل شهر، كالتاجر يحسب أرباحه وخسائره، وهو الرجل التقي في تعريف **ميمون بن مهران**:

«لا يكون الرجل تقيًا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه».

وثالث يحاسب نفسه كل يوم كما قال **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه:

ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزدد فيه عملي[٢]، ذلك أن أمس واليوم أخوان نزل بك أحدهما ضيفًا، فأسأت استقباله ولم

---

(١) قاعدة في الصبر ص ٩٤،٩٥ - تقي الدين أبو العباس ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار ٢٢١- عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان.

تكرمه، فرحل عنك وهو يذمك، ثم نزل بك أخوه، فقال لك: امح إساءتك إلى أخي وأحسن إليَّ، فإن لم تفعل اجتمع عليك غدا خصمان اثنان يشهدان عليك بين يدي رب العالمين.

ومنا السابقون السابقون، وهؤلاء يقفون كل يوم مع أنفسهم وقفات ويعقدون لها محاكمات!!

فمن أي الأنواع أنت؟!

أخي..

إن المحاسبة لون من ألوان متابعة الأهداف، وكلما كانت محاسبتك لنفسك أسرع كان الاستدراك أسهل، وقهر الشيطان أرجى، ورضوان الله أقرب، ذلك أن كسل يوم أو يومين مستدرك إذا رجع الإنسان على نفسه بالمحاسبة، أما كسل شهر أو شهرين، فمعالجته أصعب والتخلص من تبعاته وواجباته المتراكمة أبعد، ولذا كان الأعلى إنجازًا والأقل كسلاً والأشد عزمًا هو الأكثر محاسبة لنفسه.

فإلى كل كسول..

افتح باب المحاسبة على مصراعيه..

وارفع على نفسك سوطك اللاذع إن هي خانت أو نامت..

وحذارِ أن تتأخر فيتسع الخرق..

ويصعب استدراكك..

وتفشل محاولاتك..

فيتسلل اليأس إليك ويستولي الكسل عليك.

نفسك حين تشكرك!

قال **أبو مسلم الخولاني**: أرأيتم نفسًا إن أنا أكرمتها ذمتني غدًا عند الله، وإن أنا

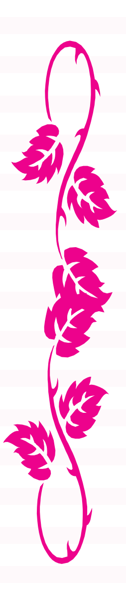
أسخطتها وأنصبتها وأعملتها رضيت عني غدًا.

قالوا: من يا أبا مسلم؟

قال:

«تيكم والله نفسي»[1].

فشد على نفسك اليوم الوثاق، وضيق عليها الخناق، تشكر لك صنيعك يوم التلاق، حين تشهد فوزك في السباق.



وتستطيع أن تصنع الميزان نفسه في ميدان عاداتك أو علاقاتك أو أخلاقك، وأطع أمر عبد الله بن المقفع، ونفِّذ وصيته وهو ينصحك وينصح كل عاقل: «وعلى العاقل أن يحصي على نفسه مساويها في الدين، وفي الأخلاق، وفي الآداب، فيجمع ذلك كله في صدره، أو في كتاب، ثم يكثر عرضه على نفسه، ويكلفها إصلاحه، ويوظف ذلك عليها توظيفًا من إصلاح الخلة، والخلتين، والخلال في اليوم أو الجمعة أو الشهر، فكلما أصلح شيئًا محاه، وكلما نظر إلى محو استبشر، وكلما نظر إلى ثابت اكتأب»[2].

ثمرات المحاسبة!!

المحاسبة الفعالة لابد وأن تؤدي إلى واحدة من أربع نتائج:

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ١٢٤.

(٢) الأدب الصغير والأدب الكبير ص ٢٠ - عبد الله بن المقفع - دار صادر - بيروت.



توبة أبرار:

وهذه الخطوة بمثابة إجراء تصحيحي يهدف به العبد أن يصحح خطأه ويتدارك تقصيره، ففي ميدان العبادات يشرح **محمد جمال الدين القاسمي** المحاسبة بصورة محددة تمنع اللبس والغموض، فيقول:

«ومعنى المحاسبة أن ينظر في رأس المال، وفي الربح والخسران، ليتبين له الزيادة من النقصان، فكذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض، وربحه النوافل والفضائل، وخسرانه المعاصي، وموسم هذه التجارة جملة النهار، فليحاسبها على الفرائض أولاً، فإن أداها على وجهها شكر الله تعالى عليه، وإن فوَّتها من أصلها طالبها بالقضاء، وإن أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل، وإن ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه»[1].

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ١/ ٣٠٨ بتصرف- محمد جمال الدين القاسمي - ط دار الكتب العلمية.

إن المعصية تجرح همة العبد وتنال من عزيمته كما قال ربنا:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ ﴾ [آل عمران ١٥٥]

لذا يسأل المحاسب نفسه كل ليلة:

- هل أطلقت بصرًا؟
- هل أضعت فرضًا؟
- هل نطقت زورًا؟
- هل خذلت مسلمًا؟
- هل حفظت محمدًا في أمته فلم أعتد على مسلم قولاً أو فعلاً؟
- هل سكت عن منكر؟
- هل تكاسلت عن معروف؟

فإن وجد أنه قد فرط منه شيء تاب منه على الفور، وإلا شكر الله على توفيقه لطاعته.

إن التوبة ليست سوى ثمرة من ثمرات المحاسبة، فالذنب خسارة وخصم من رصيد الإيمان، والتوبة تعويض هذه الخسارة وتحويلها إلى ربح صاف زلال، ولا اكتشاف لربح أو خسارة دون عقد جلسة محاسبة.

أما الغافلون..

الذي لا يراقبون أنفسهم ولا يحاسبونها، فستتراكم عليهم الذنوب لتمرض قلوبهم حينا قبل أن تحتضر ثم تموت.

إن الذنب قيدٌ في القلب يكبله عن المسارعة إلى الخيرات، ويعوقه عن الوصول إلى أشرف المهمات، ليشكل الذنب جنديًا بارزًا من جنود الكسل العظام، لذا كانت التوبة

من الذنب أعظم محفز للهمم، وأسهل وسيلة للتخلص من قيود الفتور والوهن.

فيا أيها الغارق في بحر الكسل.. استنفر جند عزمك، فقد غزا أعداء الإيمان دولة قلبك؟!

محاسبة عبيدية!!

روى **سعيد بن منصور** عن **أبي عبيدة بن الجراح** رضي الله عنه أنه تنخم في المسجد ليلة، فنسي أن يدفنها حتى رجع إلى منزله، فأخذ شعلة من نار ثم جاء فطلبها حتى دفنها، ثم قال: «الحمد لله الذي لم يكتب علي خطيئة الليلة»[(١)].

ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«التفل في المسجد خطيئة، وكفارته أن يواريه»[(٢)].

إنه يقين **أبي عبيدة** بالجزاء واستعداده للحساب، وانظر كيف حاسب نفسه قبل نومه محاسبة صارمة، ولم يتهاون في أمر (تفلة بسيطة)، ولم يسترح إلا بعد أن محاها من صحيفته، ثم نسب الفضل في ذلك إلى ربه حين حمده ولم ينسب ذلك لنفسه.

هذه والله همم الكبار، وسمات أصحاب القلوب العظام.. لا يستصغرون ذنبًا، ولا يحتقرون معروفًا، ولا يتركون لإبليس فرصة يحتفل فيها بإغوائهم، بل يفسدون عليه فرحته بعاجل توبة وتكفير ذنب، وصدق فيهم قول القائل:

لا يحقـر الرجل اللبيب دقيقـة ... في السهو فيها للوضيع معـاذر
فكبائر الرجل الصغير صغيرة ... وصغائر الرجل الكبير كبـائر

(١) فتح الباري ١/ ٥١٢- ابن حجر العسقلاني - ط دار المعرفة.
(٢) صحيح: رواه أبوداود عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ٣٠١٦.


امحُ سواد الصفحات بنور الحسنات

قصة سواد!!

يذنب العبد ذنبًا فينكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب واستغفر وإلا تراكمت الذنوب وأعيت العيوب حتى صار القلب غرفة سوداء وبقعة مظلمة لا خير فيها.

ومن القلب يسري السواد إلى الوجه، فينطفئ نوره ويضيع بهاؤه بما لا يخفى على أحد من أهل الفراسة الإيمانية.. وما سواد القلب وسواد الوجه سوى مؤشرين على اسوداد صحيفة العبد تنشر له يوم القيامة.. نعم له حسنات لكنه غمرها في بحر سيئاته ومحاها بتتابع غفلاته، فكانت النتيجة أن اسودَّ طريق العبد في الدنيا متنكبًا طريق الجنة سالكًا طريق جهنم ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وإذا ملأ الظلام دُنياه فمن أين يأتيه النور في أُخراه؟! أنا أخبرك بما يكون في أخراه!!

يحشر يوم القيامة أسود الوجه[1] يلفه سواد يمتلئ خوفًا وظلمة تبعث على الفزع، ويظل على تلك الحال ما شاء الله إلى أن يساق مسلسلاً مع أمثاله إلى النار، وهناك أيضًا... أحلك سواد مصحوبًا بأشد عذاب!!

وطلبي منك:

دقق النظر في الصفحة السوداء المقابلة دقيقة أو دقيقتين.. عساك تكره بها السواد بكل صوره، فتسعى في التخلص منه والانفكاك من أسره، فلا ترى له يوم القيامة أثرًا ولا تشقى به أبدًا.. بعد أن أورثك هذا النظر الرغبة العارمة في الاستمتاع بضياء حسناتك وممحاة استغفارك، فابيضت صحيفتك وارتقت درجتك.

نعم.. لا زالت الفرصة سانحة لديك اليوم لتحول صحيفتك إلى بيضاء مشرقة تمامًا مثل الصفحة التالية......

(١) دخل الفضيل بن عياض على أمير المؤمنين هارون الرشيد فقال: يا حسن الوجه!! لقد وليت أمرا عظيما أني ما رأيت أحدا هو أحسن وجها منك، فإن قدرت أن لا تسود هذا الوجه بلفحة من النار فافعل. حلية الأولياء ٢/ ٣٩٩.

بيِّض صحيفتك بنور طاعتك وسرعة توبتك

حافظ على بياض صحيفتك بتوالي طاعاتك

وكثرة توباتك

قصة بياض!!

أخي..

هنيئًا لك بياض صحيفتك..

ولا عجب.. فقد بدأت يومك بنور فجرك، وختمته بأنوار ذكرك، ولم تكتف بذلك حتى جعلت بينهما حزمة أنوار بين طرفي النهار.. بصحبة أخيار واستغفار أسحار مع دمع مدرار.

ابيضت صحيفتك، فانعكس نورها على وجهك، فإذا هو البدر في الضياء والحسن والبهاء، وسرك أفشاه من قال: خلوا بالرحمن ليلاً فكساهم من نوره.

ابيضت صحيفتك، فعم نورها أي طريق فيه سرت، وكل منزل به نزلت، فأضاء طريقك إلى الجنة، وهداك ربك به صراطه المستقيم.

ابيضت صحيفتك، فتحولت إلى طاقة نور تمشي بين الناس، يهتدون بها ويقتفون أثرها وهي تشوقهم إلى الجنة، وهو معنى قوله ﷺ في دعائه:

«واجعل لي نورًا، واجعلني نورًا».

ابيضت صحيفتك، وسيظل نورها ساطعًا لا يتبدد حتى توافى به يوم القيامة حين تستلم نورك كالجبل أو كالنخلة في يمينك.. يسعى بين يديك.. شاهدا على ما لديك.. فخر ما بعده فخر، وشرف لا يدانيه شرف..

فهنيئًا لك انقشاع سوادك وانحسار سيئاتك بأنوار طاعاتك وضياء أعمالك..

ألا ما أحلى حسنات يمضي تعبها ويبقى نورها..

يبذلها العبد ثم ينساها لتظل مذخورة له تنقلب ضياء يوم يحشر من قبره إلى قصره!!

وما هذا إلا ثمرة يقظتك ومحاسبة نفسك.



تصحيح مسار:

وفي المحاسبة نتجاوز الماضي إلى المستقبل، ونضع الخبرات المتراكمة في الميزان لترجح كفة الربح وتهوي كفة الخسران، وهذه الخطوة بمثابة الخطوة الوقائية التي تمنع تكرار الخطأ، وهي الخطوة الأهم، فالسقوط في نفس الفخ مرتين يدفع إلى انتباه أشد واحتياط أوجب في المرة الثالثة، وذلك كما يلي:

* **في أهدافك الإيمانية:**

تفتش في ماضيك، لتعلم من أي باب دخل عليك الشيطان، وبم استزلك، وكيف استدرجك، لكي لا تسير في نفس الطريق مرة أخرى، فإن نفس المقدمات تقود إلى نفس النتائج، وتغيير المخرجات يلزمه تغيير المدخلات ولابد، وإلا كان حالك مع معاصيك كمن سئل: كيف أنت في دينك؟ فقال مستهزئا: أخرقه بالمعاصي وأرقعه بالاستغفار!!

* **في أهدافك الحياتية:**

قد تكون خطتك التي وضعتها لبلوغ أهدافك غير سديدة، ولم تؤد إلى النتائج المرجوة، فترجع إلى خطتك لتغير منها ما يكفل الوصول إلى الهدف.

منابع الكسل

ومن لوازم تصحيح المسار في المستقبل أن تتعرَّف على منابع الكسل وأسبابه، ومنها:

الإسراف:

من منابع الكسل الغرق في المباحات، ومن المباحات الإسراف في الطعام المؤدي إلى الشبع، وهو رسول النوم وأخو الكسل. قال **أبو عبد الرحمن السلمي**:

«الكسل ميراث الشبع»[1].

وكيف يحظى بشرف العلم من تدنس بوحل الكسل؟! لذا قال **سحنون**:

«لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع»[2].

الملل:

الملل أول طريق الكسل، وطرد الملل إنما يكون بتنوع الطاعات، وكلما تنوعت طاعاتك كلما انطرد مللك، وتباعد كسلك، فإذا غزا الملل قلبك من رتابة طاعاتك، فارحل إلى طاعات أُخر تأنس بها، وعش حياتك جوالا بين ربوع القربات وألوان الحسنات.

وليلجأ عند شعوره بالكسل إلى (العبادة المحبوبة)، وهي أكثر العبادات التي يحبها، ويستمتع بها، لكي يواجه بها هجمة الفتور، ولا يدعها تهوي به وتمكِّن منه الشيطان.

الغلو:

من شدَّد شُدِّد عليه، ومن حمَّل نفسه ما لا يطيق سقط ولابد في منتصف الطريق.

---

(١) عيوب النفس ص ١٤ - أبو عبد الرحمن السلمي - مكتبة الصحابة- طنطا.
(٢) قيمة الزمن عند العلماء ص ١١٠.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ:

«يا عبدالله!! ألم أُخْبَرْ أنك تصوم النهار وتقوم الليل»

فقلتُ: بلى يا رسول الله، قال:

«فلا تفعل، صُم وأفطر، وقُم ونم، فإنَّ لجسدك عليك حقًا، وإن لعينيك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقًا، وإن لزورك عليك حقًا، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله».

قال عبد الله بن عمرو عن نفسه:

فشَدَّدْتُ فشُدِّد عليَّ؛ قلتُ: يا رسول الله.. إنِّي أَجد قوَّة.

قال:

«فصُمْ صيام نبي الله داود عليه السلام ولا تزِدْ عليه»[1].

قلتُ: وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام؟

قال:

«نصف الدهر»

فكان عبد الله يقول بعدما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي.

هذا في شأن التشديد على النفس بالصيام، أما في شأن قيام الليل، فالإفراط فيه كذلك يؤدي إلى التفريط، لذا فقد حذَّر النبي ﷺ نفس الصحابي **عبد الله بن عمرو بن العاص** من الانقطاع عن قيام الليل من جراء ذلك، فقال:

«يا عبد الله! لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل، فترك قيام الليل»[2].

---

(١) صحيح: رواه الشيخان والنسائي عن ابن عمرو كما في صحيح الجامع رقم: ٧٩٤٢.
(٢) صحيح: رواه الشيخان وأحمد والنسائي عن ابن عمرو كما في صحيح الجامع رقم: ٧٩٤٥.



شكر واستمرار:

أثناء المحاسبة يعرف الإنسان نقاط قوته فيبني عليها مكررًا تجاربه الناجحة، مما يزيده ثقة بنفسه وبصواب خطته، وقبل ذلك وبعده ثقته بربه وحسن ظنه به.

وعندها يشعر بانتعاش عجيب وحيوية غريبة، مما يشكل جرعة حماسة زائدة تعين على الاستمرار، وتحطيم الإنجازات السابقة بأخرى لاحقة لكنها هذه المرة أعظم أثرا وأكثر عددًا.

وخذها مني وصية مجرب:

كثيرون يجيدون جلد النفس ونقد الذات، لكن القليل من يلمح إنجازاته، ثم يكافئ نفسه على تميزها بما يزيد نشاطها ويضاعف حماستها.

وهاك بعض أمثلة لاستنساخ التجارب الناجحة:

❋ قد تكتشف أن أشد لحظات حماسك اتقادا حين سرت في ظل صحبة معينة، فإذا تأكدت من هذا كان الاستمرار: حط رحلك على أعتابهم وإن طردوك، وآثرهم وإن لم يؤثروك.

* قد يخرج الإنسان من جلسة محاسبته لنفسه بنتيجة: أنه حافظ على صلاة الفجر أو قيام الليل فترة طويلة أو غيرهما من القربات، وبمراجعة دقيقة وجد أنه كان يحافظ على معروف أو طاعة محددة كل ليلة، فكوفئ بالقيام، فكان قراره: مواظبته على أداء هذا الخير وعدم انقطاعه عنه.

* قد يشعر العبد بانشراح صدر لا سبب له وراحة نفسية مفاجئة، وبالتنقيب وجد في صحيفة أعماله: تفريج كرب مسلم وسعيٌ على حاجته، فكانت معاملة ربه الكريم له بالمثل، وجزاؤه من جنس عمله، فكان الاستمرار مسلك الأبرار.





منافسة أخيار:

قد لا يشكو العبد من تقصير في عبادته ولا يعاني خللا في عمله، لكن نفسه طموحة تنشد الكمال وتناطح الجبال، فمثلاً:

*** في أهدافك الحياتية:**

كل عمل أديته لا تزال فيه مساحة للتطوير، فلا كمال إلا لله، والتطوير المستمر هو ديدن أصحاب الإنجازات الرفيعة، أما الذي يقنع بما وصل إليه فإن غيره يسبقه، ويتركه وحيدا في وادي الحسرات.

*** في أهدافك الإيمانية:**

نفسك لوامة، فتلوم نفسك باستمرار ليس على الوقوع في الذنب فحسب، بل وفوق ذلك درجة: على فوات الأجر وتفلت فرص الثواب.

تعاتب نفسك لأن غيرك سبقك وحاز في الجنة درجة أعلى وملكا أعظم ورضوانا أكبر، وأنت أخروي الغيرة.. تغار أن يسبقك إلى الله أحد، وحسدك منصب على مضمار الآخرة ليس غير.

قال **ابن المقفع** وهو يتحدث عن شعور المؤمن بالغيرة نحو الخصال الصالحة التي

يجدها في غيره بعد أن تحدث عن محاسبة النفس عن خصالها السيئة:

«وعلى العاقل أن يتفقد محاسن الناس، ويحفظها على نفسه، ويتعهدها بذلك مثل الذي وصفنا في إصلاح المساوي»[١].

وممن حاز هذه النفس كان يونس بن عبيد واسمع إليه يقول: «إني لأجد مائة خصلة من خصال الخير، ما أعلم أن في نفسي منها واحدة»[٢].

فإذا عرفت -كما عرف **يونس**- ما فات، وندمت على الحسنات الضائعات، فحول طاقة الندم إلى طاقة عمل، ثم اسع بشدة ساقيك لإدراك من سبقك، واعمل بشدة ذراعيك لتتقدم الصفوف المائة والعشرين الواقفة على أبواب الجنة وتكون في أوائلها[٣].

وفوق كل ذي علم عليم

وانظر علم الزهد ورمزه الأشهر **الفضيل بن عياض**، وكيف تعلم الزهد من رجل غير مشتهر ولا معروف بين الناس، واسمع إليه يحكي الحكاية:

«ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان جلس إليَّ في المسجد الحرام، ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه، فجعل يبكي، فقلت: أعلى الدنانير تبكي؟ فقال: لا، ولكن مثلتني وإياه بين يدي الله عز وجل، فأشرف عقلي على إدحاض حجته، فبكائي رحمة له»[٤].

---

(١) الأدب الصغير والأدب الكبير ص ٢٠ - عبد الله بن المقفع - دار صادر - بيروت.
(٢) صفوة الصفوة ٢/ ١٨٢.
(٣) في الحديث الصحيح: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم». رواه الترمذي وأحمد وابن ماجة والحاكم عن بريدة كما في صحيح الجامع رقم: ٢٥٢٦.
(٤) إحياء علوم الدين ٣/ ١٨٤.



سير المجتهدين

حسبنا أن النظر في سير السابقين هي تربية قرآنية بامتياز، فهي طريقة القرآن والوحي الإلهي في تثبيت قلب النبي ﷺ في مواجهة مكر الليل والنهار من الكفار والفجار:

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود ١٢٠].

وتربية نبوية:

ولقد كان التذكير بسير الصالحين طريق النبي في تثبيت قلوب أصحابه حين شكوا إليه شدة العذاب وكاد الوهن أن يتسلل لقلوبهم، حيث قال لهم رسول الله ﷺ:

«كان الرجل قبلكم يؤخذ فيحفر له في الأرض، فيجعل فيه فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين ما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ما يصده ذلك عن دينه»[١].

ولقد ذكر النبي ﷺ من الأنبياء من كان ابتلاؤه أشد وإيذاؤه أعظم حين قسم النبي ﷺ الغنائم بين أصحابه في حنين؛ فقال رجل:

(١) صحيح: رواه البخاري وأحمد عن خباب كما في صحيح الجامع رقم: ٤٤٥٠.

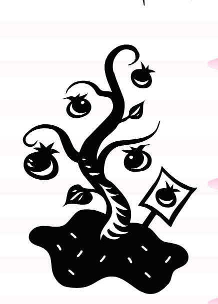
ما أراد محمد بهذا وجه الله، وهنا تمعر وجه رسول الله ﷺ وقال:

«رحم الله موسى.. قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»[١].

إن نظرك في سير من هم أفضل منك لهو خير ما يقتل العجب والغرور في النفس، وهما طريقان مؤديان إلى الكسل والتثاقل عن العمل، ولعل هذا ما دعا **سفيان الثوري** إلى أن يقرر:

«عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة»[٢].

وسبب هذا أن الصالحين هم التطبيق العملي لما ترجوه من أهدافك وتنشده، وسيرتهم بمثابة خطة عمل مقترحة عليك إن أردت اللحاق..



وإن عبدًا نشيطًا يقارن نفسه بكسالى سيكسل، أما إذا كانت سير السابقين تلاحقه من كل جانب فإنه سيظل متقد العزم متوهج البصيرة، وإن رفع العين إلى نماذج الأتقياء والسابقين الأصفياء خير ما يرفع الروح ويزكيها، ويبث فيها الحماسة للعمل، ويقتلع منها بذور الكسل.

الميزان الأكبر!

وهو ما يفرض عليك تساؤلاً هامًا:

بمن ستقارن نفسك اليوم؟ بالأحياء أم بالأموات؟!

بمن هو أدنى منك؟! أم بمن هو أعلى منك؟!

بمن هو في مثل حالتك؟! أم بمن هو دونك؟!

---

(١) صحيح: رواه الشيخان وأحمد عن ابن مسعود كما في صحيح الجامع رقم: ٣٥٠٠.
(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢/ ١١١٣ - ابن عبد البر - ط ١ دار ابن الجوزي.

حسم الله لنا الأمر، وأراحنا من عناء التفكير وحيرة الاختيار حين قال:

﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب ٢١]

ومن أولى البشر بالاطلاع على سيرته لنقتدي بها من رسول الله ﷺ؟!

قال سفيان بن عيينة:

«إن رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر، فعليه تعرض الأشياء، على خلقه وسيرته وهديه، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل»(١).

وانظروا إلى قصة رسولكم مع الكسل:

* لم يتاءب في حياته قط.
* لم ينم قلبه لحظة بل كان إذا نامت عيناه لم ينم قلبه.
* كان إذا عمل عملاً أثبته.
* كان لا يدع قيام الليل أبدًا، فإذا مرض أو كسل صلى قاعدًا.
* كان يمشي مشيًا يعرف فيه أنه ليس بعاجز و لا كسلان.
* كان إذا مشى تقلع كأنما ينحدر من صبب.
* إذا فرغ من دعوة الناس بالنهار نصب قدميه لربه بالليل.

وهي كلها إشارات تدعوك إلى الاقتباس والتميز بين الناس.

وكما قالوا: كثرة العنعنة تضعف الرواية!!

فكلما اقترب الراوي من المروي عنه كانت الرواية أبعد عن السهو والكذب، وأقرب إلى الصحة والصواب، ونحن كلما التصقت أعمالنا برسول الله ﷺ كنا أقرب إلى الصواب والهدى، فإذا أردت أن تقتدي فلتقتد بالأصل، لأن النسخة المقلدة قد يعتريها انحراف أو تغيير.

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٧٩ - الخطيب البغدادي - مكتبة المعارف - الرياض.

صاحِبْ كتابًا!!

ومن فاته وجود صحبة صالحة أو أُولي همم عالية حوله، أو وجد نفسه في من حوله أفضل المقصرين، كان على خطر تسرب الكسل إلى قلبه، وله حينها أن يلجأ إلى الاطلاع على سير المجدين في الكتب كما فعل **ابن المبارك**، فقد قيل له: من تجالس بخراسان؟!

قال: أجالس شعبة وسفيان، قال **أبو داود**: يعني أنظر في كتبهما[1].

وقيل له يومًا: إذا صليت معنا لِمَ لا تجلس معنا؟ قال: أذهب مع الصحابة والتابعين، فقيل: ومن أين الصحابة والتابعون؟ قال: أذهب أنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم.

ومطالعة الكتب سماها **عبد الله بن الحسن العلوي** (محادثة الموتى)، وذلك حين سأله الخليفة **المأمون**: ما بقي من لذتك يا أبا علي؟

قال:

اللعب مع الصغير من ولدي، ومحادثة الموتى!![2]

سير تطرد الكسل!!

❋ إذا قرأت أن الإمام **الجويني** كان يقول:

«أنا لا أنام ولا آكل عادة، وإنما أنام إذا غلبني النوم ليلاً كان أو نهارًا»[3]

فهل تقضي جل ساعاتك في المنام؟

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٦٤.
(٢) تقييد العلم للخطيب البغدادي ص ١٢٤- ط دار إحياء السنة النبوية بيروت.
(٣) قيمة الزمن عند العلماء ص ٥٢ - عبد الفتاح أبو غدة - ط ١٠ مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

سمعته في أثناء كلام يقول أنا لا أنام ولا آكل عادة وإنما أنام إذا غلبني النوم ليلاً كان أو نهارًا، وآكل إذا اشتهيت الطعام أي وقت كان. وكانت لذته ولهوه ونزهته في مذاكرة العلم، وطلب الفائدة من أي نوع كان.

* إذا طالعت سيرة **عبيد بن يعيش**، وسمعت قوله:

«أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدي يعنِّي بالليل كانت أختي تلقمني وأنا أكتب»[1]

فهل تبدد أوقاتك سدى وتنفقها في ما لا يفيد؟!!

* إذا قرأت أن **محمد بن علي السلمي** قال:

قمت ليلة سحرًا لآخذ النوبة على ابن الأخرم [أي: لآخذ دوري عليه في قراءة القرآن]، فوجدت قد سبقني ثلاثون قارئًا، ولم تدركني النوبة إلى العصر!![2] فهل يتسلل بعدها كسل أو ملل إلى قلبك؟! بعد أن أدهشتك هذه الهمة الثلاثية؟! همة هذا الطالب! وهمة زملائه! وهمة الشيخ المعلم!

* إذا قرأت أن سبب وفاة **ثعلب النحوي أحمد بن يحيى البغدادي** ما يلي:

«وكان سبب وفاته أنه خرج من الجامع يوم الجمعة بعد العصر، وكان قد لحقه صمم لا يسمع إلا بعد تعب، وكان في يده كتاب ينظر فيه في الطريق، فصدمته فرس فألقته في هوة، فأخرج منها وهو كالمختلط، فحمل إلى منـزله على تلك الحال وهو يتأوه من رأسه، فمات ثاني يوم، رحمه الله»[3]

فكيف لا تتزاحم بعدها أهدافك؟! وكيف لا تجمع مع كل عمل عملاً آخر يؤازره ويؤاخيه؟!

* إذا قرأت وصية الشيخ **الكناني** حين أوصانا بما أوصاه به أبوه، ثم نقل إلينا

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ١٧٨- الخطيب البغدادي - ط دار المعارف.
(٢) سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٦٥- شمس الدين الذهبي - ط ٣ مؤسسة الرسالة.
(٣) المشوق إلى القراءة وطلب العلم ص ٦١ - علي بن محمد بن حسين العمران - ط دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

الوصية الإمام السيوطي فقال:

حدَّثنا شيخنا الكنـاني ... عن أبيه صاحب الخطابه
أسرع أخا العلم في ثلاث ... الأكل والمشي والكتابه[1]

فكيف يستغرقك الطعام والشراب، وتفني أوقاتك في ما لا طائل منه؟!

* إذا قرأت سر نبوغ **أبي القاسم الطبراني** وكثرة حديثه، وقد أجاب عن ذلك حين سئل فقال: كنت أنام على البواري[2] ثلاثين سنة!! فكيف تقعدك المشاق، وتوهن همتك الصعاب، وتدفعك إلى الاستسلام وإيثار الراحة والمنام؟!

وأخيراً..



حذار من الانبهار الشديد دون الاقتداء الرشيد، والإعجاب الذي لا يعقبه تخطيط للحاق وعزم على السباق.. قال عبد القادر الجيلاني: «يا غلام!! قد قنعت من أحوال الصالحين بالكلام فيها والتمني لها، أي كالقابض على الماء يفتح يده فلا يرى فيها شيئاً، التمني وادي الحمق».

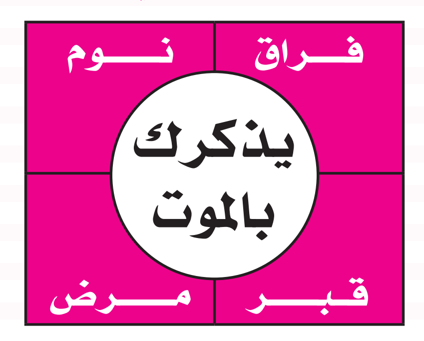
(١) قيمة الزمن عند العلماء ص ١١٠.
(٢) البواري: جمع بارية، وهي الحصير المنسوج، والخبر في في سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٢٢ وتذكرة الحفاظ ٣/ ٩١٥.



ذكر الموت وتخيله

يا متعلقًا بأذيال الأعذار، يا متعللاً بمعاكسة الأقدار.. ذرة واحدة من ذكر الموت تلامس القلب تقلب ليله إلى نهار، فكل كسل لا صمود له في مواجهة ذكر الموت، وكل غفلة راحلة فور سماع اسمه، ليحل بدلاً من ذلك العزم والنشاط والقوة والثبات، فيا وارث الأموات.. هلا ذكرت هادم اللذات!!

وأنا اليوم أعينك بأسباب أربعة تقرؤها فترتوي وبهمتك ترتقي:



فــراق:

كان **معاوية بن أبي سفيان** رضي الله عنه يقول: إنَّ من زرع قد استحصد[1] أي حان حصاده؛ ولما نعي له صاحباه **عبد الله بن عامر والوليد بن عقبة** وكان أحدهما أكبر منه والآخر

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ١٩٥.

دونه في العمر، أنشد قائلاً:

إذا سار من خلف امرئ وأمامه ... وأفرد من أصحابه فهو سائر[1]

ثم سار **معاوية** كما تنبأ، فمات عام ٦٠ من الهجرة، وورث هذا المعنى الأعمش فلما قيل له: مات **مسلم النحات**، فقال: إذا مات أقران الرجل فقد مات[2]، ثم مضى الأعمش وغادر الحياة عام ١٤٨ من الهجرة، فالتقط خيط الضوء منهما قبل أن يتبدد إبراهيم بن أدهم المتوفى عام ١٦٢ فقال محفزًا على العمل قاتلاً روح الكسل:

«سارعوا وسابقوا فإن نعلا فقدت أختها سريعة اللحاق بها»[3].

أخي..

مالي أراك صعب المراس.. جامح الراس.

كأن ملك الموت لم يقبض صحبك، وشيب الشعر ما نزل رأسك.

ولقد أشهدك الله مصرعك في مصارع الآخرين، وأراك مضجعك حين دفنت جيرانك الأقربين.

فلو علمت قرب الموت، لبادرت خوف الفوت، ولغسلت وجه الجد من غبار الكسل الذي علاه، لتستجلب عون رب يُغيثُ من دعاه.

لكن.. ترى.. هل ضل قلبك طريق الشفاء، وسقط من قاموسك كلمتي الخوف والرجاء؟! اللهم لا.

كدت أموت!!

وذكر الموت من أشد ما يبعث الهمة في قلوب الغافلين ويوقظ الخاملين، وهو ما رآه

---

(١) كتاب الزهد الكبير ١/ ٢٤٩- أبو بكر البيهقي - ط ٣ مؤسسة الكتب الثقافية بيروت.
(٢) كتاب الزهد الكبير ١/ ٢٥٠.
(٣) صفة الصفوة ٢/ ٣٣٥.

الحسن البصري بعينيه فقصه علينا:

«كان رجلٌ من المسلمين يبلغه موت أخ من إخوانه فيقول: كدت والله أن أكون أنا السواد المختطف، فيزيده الله بذلك جدًا واجتهادًا، فردد الحسن هذا الكلام غير مرة، فوالله مازال كذلك حتى مات موتًا كيسًا»[1].

والعلاقة طردية، فكلما علا ذكر الموت في القلب زاد الجد والاجتهاد، وكلما اضمحل كسل العبد ونام، فإذا رأيت الكسل عن طاعة الله غالبًا، والتفريط في الفرائض والواجبات سائدًا، فاعلم أن طول الأمل قد استولى على القلب وتحكم، ولذا أرساها **الحسن البصري** قاعدة لا تتخلف، فقال في كلام طرق باب السمع فكسر قفله ليدخل مباشرة إلى القلب: «ما أكثر عبدٌ ذكر الموت إلا رأى ذلك في عمله، ولا طال أمل عبد قط إلا أساء العمل»[2].

وحلل ذلك **المليباري** من خلال مشاهداته اليومية، فقال بعد أن طالع نتائج تحليل آلاف الحالات:

«فانكشف لي تحقيقاً أن من أصبح وهو يؤمل أنه يمسي، أو أمسى وهو يؤمل أنه يصبح لم يخل من الفتور والتسويف، ولم يقدر إلا على سير ضعيف»[3].

أما من مثل لنفسه حسرة الكسالى عند الموت فضلاً عن حال المجتهدين، فهذا يفيق من رقدته ويهب فورا من نومته.

قال **ابن الجوزي**:

«من أظرف الأشياء إفاقة المحتضر عند موته، فإن ينتبه انتباها لا يوصف، ويقلق قلقًا لا يحد، ويتلهف على زمانه الماضي، ويود لو ترك كي يتدارك ما فاته، ويصدق في توبته على مقدار يقينه بالموت، ويكاد يقتل نفسه قبل موتها بالأسف، ولو وجدت ذرة

---

(١) الزهد لأحمد ص ٢١٩ – ط دار الكتب العلمية

(٢) الزهد لأحمد ص ٢١٨ – ط دار الكتب العلمية.

(٣) الاستعداد للموت وسؤال القبر ص ١٣ – زين الدين المليباري الهندي – دار ابن خلدون بالإسكندرية.

من تلك الأحوال في أوان العافية حصل كل مقصود من العمل بالتقوى، فالعاقل من مثل تلك الساعة وعمل بمقتضى ذلك، فإن لم يتهيأ تصوير ذلك على حقيقته تخايله على قدر يقظته، فإنه يكف كف الهوى ويبعث على الجد»[1].

موت بالترتيب!!

ومن عجائب موت الأصحاب أنه لما مات الشيخ الإمام محمد عبده رثاه على قبره ستة من الشعراء على هذا الترتيب:

١- الشيخ حسن أبو خطوة.

٢- حسن باشا عاصم.

٣- حسن باشا عبد الرزاق.

٤- قاسم بك أمين.

٥- حفني بك ناصف.

٦- حافظ بك إبراهيم.

وصادف أن الشعراء الستة ماتوا تباعًا وفق ترتيبهم في رثاء الشيخ **محمد عبده**!!

ولما مرض **حافظ إبراهيم**، وخاف على نفسه من الموت، ولم يبق وقتئذ إلا **حافظ وحفني**؛ بعث إليه **حفني** مطمئنا أن الدور الآتي هو على **حفني**، وليس على **حافظ** قائلاً:

أتذكر إذ كنا على القبر ستة ... نعدد آثار الإمام ونندب

وقفنا بترتيب وقد دب بيننا ... ممات على وفق الرثاء مرتب

أبو خطوة ولى وقفاه عاصم ... وجاء لعبد الرزاق الموت يطلب

فلبى وغابت بعده شمس قاسم ... وعما قليل نجم محياي يغرب

---

(١) صيد الخاطر ص ١٦١ – جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي- ط ١ دار القلم.

فخاطر وقع تحت القطار ولا تخف — ونم تحت بيت الوقف وهو مخرب
وخض لجج الهيجاء أعزل آمنا — فإن المنايا منك تجري وتهرب

فأجابه **حافظ** قائلاً:

أخشى عليك المنايا — حتى كأنك مني
إذا شكوت صداعا — أطلت تسهيد جفني
وإن عراك هزالٌ — هيأت لحدي وقطني
وإن دعوت لحي — يومًا فإياك أعني
عمري بعمرك رهنٌ — فعش أعش ألف قرن

ثم صح ما تنبأ به **حفني** وتوفي يوم ٢٥ فبراير ١٩١٩م فرثاه **حافظ** بقصيدة أولها:

آذنت شمس حياتي بمغيب — ودنا المنهل يا نفس فطيبي

ثم توفي **حافظ إبراهيم** بعده عام ١٩٣٢!![1].

نوم:

التذكرة اليومية!!

قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر ٤٢].

والمراد بالموت هنا النوم، لكن الله عدل عن كلمة النوم إلى الموت، لنتذكر الموت مع كل نومة، ونتأهب كل ليلة لرقدة لا قيام منها إلا في ساحة الحشر، وكأن الحد الأدنى اللازم لتذكر الموت هو مرة واحدة كل يوم، وإلا فسد القلب ودب إليه الخراب!!

واستلم الصالحون الرسالة، وعملوا بمقتضاها، فجدوا واجتهدوا، فهذا سيد أهل

---

(١) جريدة الأهرام العدد ٤٠٦٣٦ – الحادي عشر من ذي القعدة ١٤١٨هـ العاشر من مارس ١٩٩٨م.

دمشق **يحيى بن يحيى بن قيس الغساني** يقول:

«ما نمت يومًا قط فحدثت نفسي أني أستيقظ منه»[1].

ومثله **محمد بن واسع** كان إذا أراد أن ينام قال لأهله قبل أن يأخذ مضجعه: «أستودعكم الله، فلعلها أن تكون منيتي التي لا أقوم منها»[2]، فكان هذا دأبه كل ليلة إذا أراد النوم!!

فاللهم ارزق قلوبنا مثل هذه الانتباهة المنعشة واليقظة الرائعة.

ومما يعيننا على أن نسير بهذه السيرة والعمل بها هو تنفيذ وصية رسول الله ﷺ:

«ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»[3].

فأوصى رسول الله ﷺ كل فرد من أمته أن يبادر إلى كتابة وصيته، لأن الموت يأتي في أي لحظة، فكتابة الوصية لا تقتصر على المريض أو متوقع الموت، وذكر الليلتين في الحديث لرفع الحرج بسبب كثرة المشاغل، لذا كان **عبد الله بن عمر** لا يبيت ليلة إلا ووصيته مكتوبة عنده حفظًا للحقوق وتجهزًا للرحيل في أي لحظة.

كن مستعدًا!!

استلم والدي رحمه الله يومًا من صاحب له مبلغًا من أموال الصدقة، فكتب على ورقة بيضاء كلمة (صدقة)، ولف بها المبلغ، قبل أن يضعها في محفظته، ثم قال لي: عود أن تفعل هذا مع كل مبلغ من المال لا يخصك، لأنك قد تموت في حادث أو موت فجأة، وإذا لم تعرف هذا المال، سيظن الورثة أنه مالك، ويقسمونه بينهم، وتحاسب أنت على أكل مال غيرك في قبرك!!

---

(١) قصر الأمل ص ٤٥ – أبو بكر ابن أبي الدنيا – ط ٢ دار ابن الجوزي.
(٢) ذم التسويف ص ١٤٧ – أبو بكر ابن أبي الدنيا – ط ٢ دار ابن حزم.
(٣) صحيح: رواه الشيخان ومالك وأحمد عن عبد الله بن عمر كما في صحيح الجامع رقم: ٥٦١٤.



إنه الاستعداد الدائم والترقب الحذر لهجمة الموت وزورة القبر، ولذا كان الوالد رحمه الله على أهبة الاستعداد لهذه الزيارة ووقفة الحساب، ومرافقة ملك الموت في السفرة الحتمية إلى دار الخلود.

لماذا نكره الموت؟!

• والله تعالى يقول:

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران ١٩٨]

وما عند الله لا ينال إلا بالموت.

• إلا إذا كنا قد خربنا آخرتنا بتعمير دنيانا، فنحن نخشى الانتقال من العمار إلى الخراب كما قالها الرجل الصالح **سلمة بن دينار** لأمير المؤمنين **سليمان بن عبد الملك**.

• إلا إذا كان أحدنا كالمجرم الهارب من يد العدالة، فهو يخشى كل لحظة أن يقبض عليه، ليمثل بين يدي القاضي ينظر في جرائمه.

• وفيه لقاء الأحبة محمد وصحبه، والسكنى معهم في دار واحدة، والتردد عليهم صباح مساء؟!

• مع أنه الجسر الوحيد إلى زواج الحور وسكنى القصور في الخلود الدائم مع اللذة والحبور، وفوق ذلك فهو موعد استيفاء العاملين للأجور من رب ودود غفور، بعد ما طال لديهم الانتظار حتى انقضت الأعمار.

قبرٌ:

زوروا كي تزاروا!!

وليس مثل زيارة القبور من باعث على النشاط وداحر للكسل، ولذا حرص عليها

رسول الله ﷺ، ودعا إليها أمته.

روى **البراء بن عازب** رضي الله عنه: بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ بصر بجماعة فقال: «**علام اجتمع هؤلاء؟**». قيل: على قبر يحفرونه. قال: ففزع رسول الله ﷺ فبدر بين يدي أصحابه مسرعًا حتى انتهى إلى القبر فجثا عليه، قال: فاستقبلته من بين يديه، لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بل الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا، قال:

«**أي إخواني! لمثل هذا اليوم فأعدوا**»[(1)].

وهذا الإعداد هو النشاط بعينه والهمة في أبرز صورها، وقد فهم أبو نصر بشر بن الحارث حتمية هذا الإعداد، فكان إذا ذُكِر عنده الموت يقول: «ينبغي لمن يعلم أنه سيموت أن يكون بمنزلة من جمع زاده فوضعه على رحله، ولم يدع شيئًا مما يحتاج إليه إلا وضعه عليه»[(2)].

ولأنهم أعدوا وللموت استعدوا فلم يرهبوا الموت ولا دقة الحساب بعده، فهذا **القعقاع بن حكيم** يحدِّثنا عن تجهيزه وإعداده لهذه الرحلة فيقول: «قد استعددتُ للموت منذ ثلاثين سنة، فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء»[(3)].

نعم.. كانوا ينظرون إلى المقابر نظرات يستقون منها بواعث الهمة وشعلات العزم، فكم من حسرات في بطون المقابر، وكم من قبر يُزار وصاحبه في النار!! وقد علموا أنهم لا زالوا بعدُ في فترة الاختبار، ولو أن اجتهاد أيام يورث نعيم أعوام لكان حريا بكل عاقل أن يبادر إليه ويطلِّق كسله ثلاث طلقات لا رجعة فيهن، فكيف باجتهاد يورث نعيم الأبد؟!

---

(١) حسن: رواه أحمد وابن ماجة، وحسنه الألباني في (ص ج ص) رقم: ٢٦٥٦ والسلسلة الصحيحة رقم: ١٧٥١.
(٢) التبصرة ص ٢٢٩- ابن الجوزي - دار الكتب العلمية.
(٣) قصر الأمل ص ٧٠.

يا أخي..

أنت في القبر محصورٌ حتى ميعاد النفخ في الصور، ثم بعدها راكبٌ أو مجرور، محزون أو مسرور، وكل هذا بحسب كسلك أو نشاطك!! فاختر ما شئت: تعبًا يورث راحة أبدية، أو راحة تورث تعبا أبديًا!!

هل نزلت الغشاوة على الأبصار؟! ألم ير المشيِّعون آخر هذه الدار؟! فأين إذن الجد والاجتهاد في لحاق الأخيار؟! أم أنهم جرى لهم ما قاله الشاعر:

الناس في غفلة والموت يطلبهم	ومـــا يفيقون حتى ينفَد العمر
يشيِّعـــون أهاليهـــم بجمعهم	وينظـــرون إلى ما فيه قد قُبِروا
ويرجعون إلى أحـلام غفلتهم	كأنهم ما رأوا شيئًا وما نظروا

بيتان.. فوق وتحت!!

أخي الكسلان..

كيف تنشط لدنيا نشاطًا لم تنشطه يومًا لآخرة مع أن آخرتك أبقى لك وأرقى؟! وكيف تكسل في شأن فيه نجاتك أو هلاكك الأبدي ولا تكسل في تزويق دار موسمية؟! واسمع **عبدالله بن العيزار** يناديك منبهًا وهو يعقد المقارنة المذهلة بين بيتيك الحاضر والآتي، فيقول: «لابن آدم بيتان: بيت على ظهر الأرض، وبيت في بطن الأرض، فعمل للذي على ظهر الأرض، فزخرفه وزينه، وجعل فيه أبوابًا للشمال، وأبوابًا للجنوب، وصنع فيه ما يصلحه لشتائه وصيفه، ثم عمد إلى الذي في بطن الأرض؛ فأخربه، فأتى عليه آت، فقال: أرأيت هذا الذي أراك قد أصلحته، كم تقيم فيه؟!

قال: لا أدري!

قال: فالذي قد أخربته، كم تقيم فيه؟!

قال: فيه مقامي؟!

قال: تقر بهذا على نفسك، وأنت رجل يعقل!»[1].

فإن كمل عقلك وهديت الرشاد كان أكثر نشاطك وأعظم اجتهادك في تعمير بيتك الثاني ومستقرك الأخير، حتى تصيره قصرا فارها أفخم من كل قصور دنياك، وكيف لا وقد صار باجتهادك بقعة من بقاع الجنة وقطعة من ربوعها؟!

فاجتهد اجتهاد المجدين، واخلع عنك ثوب الكسل المهين، وجهز بيتك الحقيقي بما استطعت قبل رحيلك إليه، لتجده في أبهى صورة لدى ورودك عليه، وأبشر -إن فعلت- بخير ما رأته عيناك كما في بشارة **بشر بن الحارث**:

«نعم المنزل القبر لمن أطاع الله»[2].

أخي..

إن قرأت يومًا كلامًا بقلبك، فلتكن هذه الكلمات:

اعمر قبرك قبل أن تسكنه، فإن إقامتك في هذه الدار أطول مما تتصور!!

أما من عصاه.. فيا ويل من عصاه.. ونسي مصيره فأخزاه، وكان الكسل مبتدأه ومنتهاه، وهؤلاء حين يموتون يستحقون شفقة كل مؤمن ودمعة كل عاقل، ومن هؤلاء المؤمنين العقلاء **الفضل الرقاشي** الذي نظر يومًا إلى القبور، ثم قال:

«يا لها من وجوه حيل بينها وبين السجود لله عز وجل، لو يجدون إلى العمل مخلصًا بعد المعرفة بحسن الثواب؛ لكانوا إلى ذلك سراعًا!».

ثم يبكي ويقول:

«يا إخوتاه! فأنتم اليوم قد خلي بينكم وبين ما عليه ترجون إليه فكاك رقابكم، ألا فبادروا الموت، وانقطاع أعمالكم، فإن أحدكم لا يدري متى يزوره ليلاً أو نهارًا!»[3].

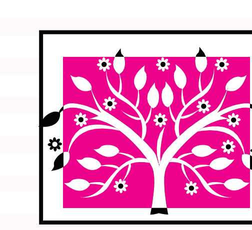
---

(١) أهوال القبور ص ١٥٦- ابن رجب الحنبلي- ط ١ دار الغد الجديد، المنصورة، مصر.
(٢) القبور ص ١٣٠- ابن أبي الدنيا- ط ١ دار مكتبة الغرباء الأثرية.
(٣) أهوال القبور ص ٣٨.

أخي..

أشبع بمنظر الجنائز ناظريك، وأوصل الموتى إلى قبورهم ساعيًا معهم بشدة ساقيك، كي تغرس في قلبك الهمة العالية التي تدفعك لاقتناص كل لحظة، واغتنام أي فرصة، فتقدم العمل الصالح الذي يرجح ميزانك ويخزي شيطانك، وتعلم من **عبد الله بن المبارك** حين لقن غافلاً في جنازة درسًا لن ينساه، فقد قام رجل إليه في جنازة، فسأله عن شيء تافه وسط معمعة الموت، فقال له:

«يا هذا.. سبح، فإن صاحب السرير منع من التسبيح!»[١].



ولا تحقر نفسًا من أنفاسك بعد اليوم، فلعله يكون النفَس الذي به تنجو، بل تفوز به فوز الأبد. قال ابن الجوزي: «كل نفَس من أنفاسك جوهرة يمكن أن تشتري بها خلود الأبد في جوار الأحد»[٢].

الزاهدون بعد الموت!!

مر بعض السلف بالمقابر، فقال:

«أصبح هؤلاء زاهدين فيما نحن فيه راغبون!»[٣].

جمع الأموات أعظم الدرجات في الزهد في حطام الدنيا الفاني، لكن هل ينفعهم هذا الزهد المتأخر بعد فوات الأوان!! هيهات هيهات!! والله لو رأيت بعيني قلبك حال جيرانك من الأموات لأفقت مما حل بك من سبات.

---

(١) أهوال القبور ص ٣٨.
(٢) صبا نجد ص ٢٧- أبو الفرج ابن الجوزي – ط دار الصحابة.
(٣) القبور ص ١٤٥.

زائر على الأبواب



ولأن الموت أقرب إلى أحدنا من شراك نعله، فقد قرَّب الله إلينا الحساب في كتابه وربط بينه وبين العمل حين فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر ١٨]

قال **قتادة**: «ما زال ربُّكم يقرِّب الساعة حتى جعلها كغد»[١].

وما دام مصيرك مجهولاً فالاجتهاد في حقك أوجب والنوم عن العينين أبعد، وصدق القائل:

وكيف تنامُ العينُ وهي قريرةٌ ... ولم تدْرِ في أي المحلين تنــزل

مــرض:

ينزل المرض بالعبد فيذكره بقرب رحيله، ويفتح بابا عليه يذكره بالآخرة، وكم من مريض مرضًا بسيطًا أخذ به، وكم من وعكة نزلت بالعبد فأنزلته القبر، فإن المرض نذير الموت، وبين المرض والموت شعرة!!

ولذا قال بعض السلف:

إن العبد إذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال له ملك الموت:

يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تجب!![٢].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ٢٢/ ١٩٩- أبو جعفر الطبري - ط ١ مؤسسة الرسالة.
(٢) إحياء علوم الدين ٤/ ٢٨٩- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي - ط دار المعرفة - بيروت.

كيف!!

تتوقف عن العمل سرًا وجهارًا؟!

والزمن لا يتوقف عن العمل فيك ليلاً أو نهارًا؟

يحملك يومًا بعد يوم إلى مقبرتك

يباعدك كل يوم عن عاجلتك

بقدر ما يجذبك نحو آخرتك

فالقبر يقترب والكسل يزداد

والموت يدنو والنشاط يخبو

والحساب وشيك وقلبك لا زال في الدولار والشيك.

كيف!!

مربع الموت!!

عن **عبد الله** رضي الله عنه قال: خط النبي صلى الله عليه وسلم خطا مربعًا، وخط خطًا في الوسط خارجًا منه، وخط خططًا صغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: «هذا الإنسان وهذا أجله محيط به -أو قد أحاط به- وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا»[1].

هذا أمله
الأعراض
هذا الإنسان
أجله محيط به

(١) حسن: رواه أحمد وابن ماجة، وحسنه الألباني في (ص ج ص) رقم: ٢٦٥٦ والسلسلة الصحيحة رقم:١٧٥١.

ومن أهم دروس هذا الحديث:

١- دائمـًا ما يكون أمل المرء أطول من أجله.

٢- العمل مهما طال فهو (قصير)، ومهما امتد فهو (محدود)، حتى أن المجرمين يوم القيامة يقسمون أنهم ما لبثوا غير ساعة!!

٣- تعددت الأسباب والموت واحد، فموعدك مع ملك الموت معروف محدد سلفًا، وتبقى طريقة الموت تتباين من شخص لآخر.

٤- الأمل أسوأ مخادع لأنه يصرف عن الأجل الواقع.

٥- حصار الموت محكم فلا مهرب منه ولا فرار، فرحيلك إذن إلى القبر مسألة وقت.

٦- غالبًا ما تهجم بغتة الأجل قاطعة الطريق على بهجة الأمل، فيموت المرء قبل أن يحقق أكثر أمانيه، وكما قال الشاعر:

نروح ونغـدو لحاجاتنـا	وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع المـرء حاجـاته	وتبقى لـه حاجـة ما بقـي





الموعظة

يشكو العبد فتورًا فيسمع كلمة طيبة من صاحب له، تحيي أملاً، وتزرع عزمًا، وذلك في خطبة أو درس، أو موعظة، وتكون في غاية الذكاء إذا كنت أنت المبادر إلى طلب هذه الوصية.

إذا زارك الفتور.. وهبت عليك رياح الكسل.

فزر صاحبك.. وسله النصيحة.. واطلب منه الوصية

واستعد لاستقبال كلمات شافيات تطرد من القلب الغفلات المقيمات.

واقتد بالصحاب الأولين، وقد سقت لك هنا ثلاث وصايا من بين عشرات الوصايا النبوية، وكيف أن الصحابة كان يبتدرون النبي ﷺ بطلب النصيحة والوصية:

- قال معاذ: قلت: يا رسول الله.. أوصني. قال:

«اعبد الله كأنك تراه..

واعدد نفسك في الموتى..

واذكر الله عند كل حجر وعند كل شجر..

وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة، السر بالسر، والعلانية بالعلانية»[1].

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير كما في السلسلة الصحيحة رقم ٣/ ٤٦٢.

• عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله.. أوصني. قال: «**إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها**».

قلت: يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله؟

قال: «**هي أفضل الحسنات**»[1].

• عن أسود بن أصرم رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله.. أوصني. قال: **تملك يدك**.

قلت: فماذا أملك إذا لم أملك يدي؟

قال: «**تملك لسانك**».

قلت: فماذا أملك إذا لم أملك لساني.

قال: «**لا تبسط يدك إلا إلى خير، ولا تقل بلسانك إلا معروفًا**»[2].

الموعظة أم المال؟!

وقد علم الصالحون قيمة الموعظة وكيف أنها أغلى من المال والمتاع، فكتب عمر بن عبد العزير إلى بعض من وعظه:

«أما بعد.. فقد بلغني كتابك تعظني، وتذكر ما هو لي حظ وعليك حق، وقد أصبت بذلك أفضل الأجر، إن الموعظة كالصدقة بل هي أعظم أجرا وأبقى نفعا وأحسن ذخرا وأوجب على المؤمن حقا، لكلمة يعظ بها الرجل أخاه ليزداد بها في هدى رغبة خير من مال يتصدق به عليه وإن كان به إليه حاجة، ولما يدرك أخوك بموعظتك من الهدى خير مما ينال بصدقتك من الدنيا، ولأن ينجو رجل بموعظتك من هلكة خير من أن ينجو بصدقتك من فقر»[3].

(١) صحيح: أخرجه أحمد وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة ٣ / ٣٦١.
(٢) حسن: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم: ٢٨٦٧.
(٣) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار ٢/ ١٤٤ – عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان.

حد النصيحة

والنصيحة إما أن تطلبها أو تطلبك، فقد تسأل غيرك النصيحة، وقد يوجهها لك من غير سؤال، ومن الجميل أن نسمع كلاما دقيقًا لابن حزم في حد النصيحة ومتى تنطلق من صاحبها إلى من يحب. يقول الإمام **ابن حزم** رحمه الله تعالى:

«وحد النصيحة أن يسوء المرء ما ضر الآخر، ساء ذلك الآخر أم لم يسوؤه، وأن يسره ما نفعه، سر الآخر أو ساءه، فهذا شرط في النصيحة زائد على شروط الصداقة»[1].

ولعل سائلاً يسأل:

كيف تكون النصيحة علامة محبة مع أن فيها من ذكر العيوب ما يوحش قلب المنصوح؟

ويجيب عن هذا **الإمام الغزالي** فيقول:

«فاعلم أن الإيحاش إنما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه، فأما تنبيه على ما لا يعلمه، فهو عين الشفقة، وهو استمالة القلوب، أعني قلوب العقلاء، وأما الحمقى فلا يلتفت إليهم، فإن من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته، أو صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك عنها، كان كمن ينبهك عن حية أو عقرب تحت ذيلك، وقد همت بإهلاكك، فإن كنت تكره ذلك فما أشد حمقك، والصفات الذميمة عقارب وحيات، وهي في الآخر مهلكات»[2].

متى الموعظة؟!

* عند ضعف الإيمان والفتور الذي طال وصار إلى الدوام أقرب. شكا رجل إلى أم

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس ص ٤٢ – ابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري – ط ٢ دار الآفاق الجديدة – بيروت.
(٢) إحياء علوم الدين ٢/ ١٨٢.

الدرداء القسوة في قلبه فقالت:

«عد المريض، وشيع الجنازة، واطلع في القبور»(١).

* عند السفر وعند غياب الرقيب وصحبة الحبيب وتفرد الشيطان بالعبد ومظنة تقلب الأهواء، ولذا كان النبي ﷺ كان إذا ودع أحدًا قال:

«أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك».

* عندالسقوط في الذنب ومن ذلك ما حدث لرجل إلى النبي ﷺ فقال: إني عالجت امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها ما دون أن أمسها وأنا هذا، فاقض في ما شئت، فلم يرد عليه رسـول الله ﷺ شيئًا، فانطلق الرجــل فأتبعه رسول الله ﷺ رجـلاً فدعاه، فتــلا عليه:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود ١١٤].

فقال رجل من القوم: هذا له خاصة؟! قال: **«لا بل للناس كافة»**(٢).

* عند الفتن والاقتراب من فخ المعصية وإحاطة صحبة السوء بك ليوقعوك ويسقطوك.

* عند إقبال الدنيا فالمال يميل بصاحبه عن الحق، ولهذا اتخذ الخلفاء وعاظًا يعظونهم وينبهونهم، لأنهم إلى الفتنة أقرب، ومن الجور أدنى.

من واعظك؟!

صاحب قلب:

كلام الواعظ قد يكون مكررًا سمعته الآذان عشرات المرات إلا أن مسحة الإيمان تمنحه سحرًا عجيبًا، تمس كلماته شغاف القلب لأنها خرجت من القلب، فصاحب

---

(١) تنبيه المغترين ص ٤١٦.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجة وأبو داود كما في صحيح ابن ماجة رقم: ١٣٩٨.

قلب حي هو منقذك الحقيقي من ورطة الكسل، ولما تحدث واعظ مع صاحب له ولم يتأثر بكلامه قال له: في قلبي شيء أو في قلبك!!



صليت يومًا أثناء موسم الحج في المسجد الحرام، فقرأ بنا الإمام الفاتحة، فلما بلغ قوله اهدنا الصراط المستقيم فاضت عيناه، فضجَّ المسجد بالبكاء، وخشعت القلوب والأذهان، فما أحوجنا إلى قلب يعظ قبل لسان، ولذا قال **الجيلاني**: «كن صحيحًا في السر تكن فصيحًا في العلانية.

صاحب علم وخبرة:

عليك بالتماس الموعظة والمشورة ممن عنده عصارة تجربة في صلاح قلبي أو إنجاز دعوي أو طفرة إيمانية أو مشروع خيري أو تفوق مهني أو تقدم دراسي أو فكرة ابتكارية، فهؤلاء ينفعونك، ويقدمون لك الخلاصة الجاهزة لتجاربهم الناجحة.

ليست مجالات الكسل واحدة، فاطلب طبيبًا خبيرًا بنوع مرضك، فصاحب القرآن غير الخبير بأمراض القلوب، غير المنظم في وقته المتوازن في حياته، غير النشط في أنشطته الاجتماعية وعلاقاته الأسرية، ولكل واحد نقطة تميز، فلتحرص على الاختيار الأنسب لحالتك.

وكلما كثر مستشاروك وتتابع واعظوك كلما أصبت كبد الحقيقة وعين الصواب، ولذا كان الفاروق عمر رضي الله عنه يقول:

«الرأي الفرد كالخيط السحيل، والرأيان كالخيطين، والثلاثة الآراء كالثلاثة لا تكاد تنقطع»[1].

---

(١) سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي ١/ ٧٨ – من أوائل المطبوعات العربية ، والخيط السحيل: هو الذي لم يفتل.

من روائع المواعظ!!

وهذه نماذج الصالحين الذين عرفوا أهمية الموعظة فانطلقوا يطلبون النصيحة من غيرهم:

* دخل **أبو العتاهية** على **هارون** أمير المؤمنين، فقال له: عظني بأبيات شعر وأوجز، فأنشده:

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس ... ولو تمنعت بالحجاب والحرس

واعلم بأن سهام الموت قاصدة ... لكل مدرع منا ومترس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس[1]

* قال جرير بن يزيد لمحمد بن علي بن حسين: عظني. قال:

«يا جرير.. واجعل الدنيا مالاً أصبته في منامك، ثم انتبهت وليس معك شيء»[2].

* قال **عمر بن عبد العزيز لخالد بن صفوان**: عظني وأوجز. فقال خالد: يا أمير المؤمنين، إن أقوامًا غرهم ستر الله عز وجل وفتنهم حسن الثناء، فلا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين وبثناء الناس مسرورين، وعن ما افترض الله متخلفين مقصرين، وإلى الأهواء مائلين[3].

* قال **حميد الطويل لسليمان بن علي**: عظنى، فقال:

«لئن كنت إذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت»[4].

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ٢٨٥ – أبو حاتم الدارمي البستي – دار الكتب العلمية.
(٢) الزهد الكبير ص ١٤١ – أبو بكر البيهقي – ط ٣ مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت.
(٣) السابق ص ١٨٧.
(٤) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٩٨.

* قال رجل لبشر بن منصور: عظني. قال:

«عسكر الموتى ينتظرونك»[1].

* قال محمد بن الحسين على محمد بن مقاتل، فقال له: عظني، فقال:

«اعمل فإن مت لم تعد أبدًا، وانظر إلى الذاهبين هل عادوا؟!»[2].



ويالها من مواعظ لو وجدت سامعًا، وجواهر لو صادفت جامعًا، وسلع غاليات لا ترى لها مشتريًا ولا بائعًا، فحتى متى تقع سياط المواعظ على ظهور الغافلين منا دون أن تسمع منهم أنات المعتذرين!!

يا كل كسول وكسولة..

كان القوم إذا سمعوا موعظة غرست لهم نخل العزائم فأيقظوا كل نائم، وإذا لاح للصقر صيدٌ نسي ما ألف من راحة الكف، ولا يهمك عمل الواعظ بموعظته أم لم يعمل.

اقبل نصيحة واعـظ	ولو أنـــه فيها مرائي
فلربمـا نفع الطبيب	وكان أحوج للـدواء

يا عبد الدينار والدرهم..

هذا أوان العتق؟!

يا أسير الحرص والطمع..

هذا زمن الحرية؟!

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٨١.

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٢/ ٣٨٧ - عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد - ط ٤ دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.

لكل سلعة ثمن..

لا عتق من النار ما لم تبذل مالك وتتصدق..

ولا إطلاق من أسر الشيطان ما دام لقبك (صاحب الدين الممزق)!!

يا غافلاً في ثوب عاقل..

لتعلمن غدًا إذا تندمت، أن لم يكن لك إلا ما قدمت.

وما تفيدك يا أخي قناطيرك المقنطرة وقت عبور القنطرة!!

وهل ينفعك مال أو بنون عند هجوم المنون؟!





بين صحبتين

إن كل صحبة غافلة أو عابثة بوقتها غير عابئة أو عارقة في المعصية، فهذه تنزع البركة وتبث سمومها من الكسل والوهن، ففراقها واجب، والاستهانة بقضاء الأوقات معهم مخاطرة، وفي هذا يقول **ابن الجوزي**:

«فالعجب ممن يترخص في المخالطة وهو يعلم أن الطبع يسرق، وإنما ينبغي أن تقع المخالطة للأرفع والأعلى في العلم والعمل ليستفاد منه، فأما مخالطة الدون فإنها تؤذي، إلا إذا كانت للتذكير والتأديب»(١).

فالحد الفاصل إذن في فراق صحبتك الغافلة أو الاستمرار معها هو تأثيرك فيها أو تأثرك بها.

إذا كانت يدك هي العليا، فكنت الداعي إلى الخير، والهادي لهم إلى ما غاب عنهم من الحق، فنعم ما صنعت.

أما كانت يدك السفلى وهمتك الدنيا، وأطفأ كسلهم شعلتك، وغادر الإيمان فور قدومهم قلبك، فالنجاة النجاة، والفكاك الفكاك.

هو ما أكده **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه حين قال:

«خالط الناس وزايلهم، ودينك لا تكلمنه»(٢).

---

(١) صيد الخاطر ص ٣٤٩

(٢) قال أبو سليمان: يريد خالطهم ببدنك وزايلهم بقلبك، وليس هذا من باب النفاق، ولكنه من باب المداراة. العزلة

أما أن تخالط فتخلط، وأن تصاحب فتصحبك العدوى، فلا، فصحبة من لا يخشى النار عار، والبعد عنهم غنيمة وفخار، ولذا استعاذ رسول الله ﷺ من هذه الصحبة ليعلمنا هذه الدعاء حين قال:

«اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء، ومن ليلة السوء، ومن ساعة السوء، ومن صاحب السوء، ومن جار السوء في دار المقامة»[(١)].

فالكسل معدي، والغفلة زاحفة، واسألوا:

من علم أصحاب المخدرات الطريق إلى هذا الوباء؟!

من جر الفاحشة إلى كثير من أهل البلاء؟!

من أعطى القصص الخليعة وروايات السوء إلى الناشئة؟!

من أخذ بيد الشباب بعيدًا عن المسجد صوب المقهى، ومن رحاب الفطرة السوية إلى الشهوة الردية!! هل غير صحبة السوء؟!

ولذا قالوا:

لا تصحب الكسلان في حالاته ... كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد إلى الجليد سريعةٌ ... كالجمر يوضع في الرماد فيخمد

وممن أبى التلوث بدنس المحيط ولو كان يسيرا وانحراف الصديق وإن كان دقيقًا: الإمام **حسن البنا**، فانطلق يأمر بالمعروف في معروف، واقرأ معي ما كتبه في مذكراته تحت عنوان:

نقاش في بيت القاضي!!

يقول **الإمام**: «وفي إحدى ليالي رمضان زرت منزل فضيلة قاض الإسماعيلية

للخطابي ص ٩٩ – ط ٢ المكتبة السلفية.

(١) حسن: رواه الطبراني عن عقبة بن عامر كما في صحيح الجامع رقم: ١٢٩٩.

الشرعي، واجتمع في هذه الزيارة مأمور المركز والقاضي الأهلي وناظر المدرسة الابتدائية ومفتش المعارف ولفيف من الأدباء والفضلاء والمحامين والأعيان وكانت جلسة سمر لطيف.

وطلب فضيلة القاضي الشاي فقدم إلينا في أكواب من الفضة وجاء دوري فطلبت كوباً من زجاج فقط، فنظر إلي فضيلته مبتسماً، وقال أظنك لا تريد أن تشرب لأن الكوب من فضة فقلت نعم وبخاصة ونحن في بيت القاضي، فقال إن المسألة خلافية وفيها كلام طويل ونحن لم نفعل كل شيء حتى نتشدد في مثل هذا المعنى، فقلت: يا مولانا إنها خلافية إلا في الطعام والشراب فالحديث متفق عليه والنهي شديد والنبي ﷺ يقول: «**لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافهما**»

ويقول: «**الذي يشرب في آنية الذهب والفضة فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم**»

ولا قياس مع النص ولا مناص من الامتثال، وحبذا لو أمرت بأن نشرب جميعاً في أكواب من زجاج، وتدخل بعض الحاضرين في الأمر، وأرادوا أن يقولوا إن الأمر ما دام خلافيًا فلا لزوم للإنكار، وأراد القاضي الأهلي أن يدلي بدلوه في الدلاء فقال للقاضي الشرعي: يا فضيلة القاضي.. ما دام هناك نص فالنص محترم، ولسنا ملزمين بالبحث عن الحكمة وإيقاف العمل بالنص حتى تظهر، فعلينا الامتثال أولاً، ثم إن عرفنا الحكمة فيها وإلا فذلك قصور منا والعمل على كل حال واجب، فانتهزتها فرصة وشكرت له وقلت له مشيراً إلى إصبعه: وما دمت قد حكمت فاخلع هذا الخاتم فإنه من ذهب والنص يحرمه، فابتسم وقال يا أستاذ أنا أحكم بقوانين نابليون، وفضيلة القاضي يحكم بالكتاب والسنة، وكل منا ملزم بشريعته فدعني وتمسك بقاضي الشريعة، فقلت إن الأمر إنما جاء للمسلمين عامة، وأنت واحد منهم فهو يتجه إليك بهذا الاعتبار، فخلع خاتمه وكانت جلسة ممتعة، وكان لها صداها بعد ذلك في جمهور

يرى مثل هذا الموقف العادي أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر ونصيحة في ذات الله»[1].

من صحبة إلى صحبة!!

لكن الفراق هنا ليس فراق الصحبة السوء نحو الفراغ، بل إلى صحبة أخرى لازمة، تغري بالخيرات، وتبث الشوق إلى الجنات، ولها أربع وظائف مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بمقاومة الكسل، وهي كما يلي:

حفظ:

الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، ومع الاثنين ومن الثلاثة أبعد، وهدف الشيطان هو اصطيادك بالذنب، والذنب كما أسلفنا هو بوابة الكسل، فإذا غشيت مجالس الصالحين انصرف عنك الشيطان، ووقاك الله شؤم الكسل والفتور.

مدد:

وفي الصحبة الصالحة إعانة لك خاصة عند هجمة الفتور، ودواء كثير من حالات الكسل يتمثل في أن يجعل المرء لنفسه عبادات مرتبطة بغيره، فلا يستطيع التخلف عنها حين يواظب عليها مع أخ من إخوانه، فكم منا من ابتدأ حفظ القرآن ثم توقف، أو واظب على صلاة الفجر ثم فتر، ولو دعا الله أن يرزقه من يعينه على دينه لحاصر كسله وأصابه في مقتل، وأصاب هدفه في سهولة ويسر.

حملة الفجر

كان الوالد الحبيب رحمه الله حريصًا على تبني (حملة الفجر)، فقد كان في الكويت يصلي التراويح إمامًا كل عام في رمضان، ويعتكف العشر الأواخر، ويدشن هذه

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية ص ٢٠١.

الحملة لتبدأ بعد انقضاء الشهر، فكان يختار من نبهاء المصلين عدة أشخاص يوقظهم لصلاة الفجر عن طريق الهاتف، وبدورهم يوقظ كل واحد منهم خمسة للصلاة، ليصل مجموع من يوقظهم مائة شخص كل يوم بتليفونات الوالد الكريم.

حسـد:

أو الغيرة من فعل الطاعات، من نشاطه وعزمه، وما هو إلا ثمرة القذف بالنفس وسط الثلة المؤمنة الذي يغري النفس بسلوك نفس الطريق، ثم يكون بعد اللحاق بالركب التقدم عليه؛ كان وراءهم فصار أمامهم وإمامهم، وهو النهج الذي سلكه صخر أخو الخنساء حتى أنشدت تمدحه:

إذا القــوم مـدوا أياديهـم ... إلى المجــد مد إليــه يــدًا
فنال الـذي فـوق أيـديهم ... من المجد ثم مضى مصعدًا

تروي أخت من الأخوات موقفًا لوالدي الكريم رحمه الله، وكان يتحرك بصعوبة بالغة مع كبر سنه واشتداد مرضه، فتقول:

«كان سيلقي علينا درس، وكنا في الدور الثاني فكان عليه أن يصعد إلينا، فمضي نحو عشر دقائق لكي يصعد عشرين درجة من السلالم!! معظم الحاضرات بكين من همته العالية و تقصيرنا».

عظـة:

وهي الموعظة ابتدأك بها الصاحب أو سألته إياها، فصحبة الخير ينصحونك لأنهم يحبونك، ويصدقونك لأنهم يخافون عليك، فمن علامات المحبة الصادقة والأخوة الخالصة في الله: صدق النصح، وما أحلاها من صحبة سدت في الشخصية خللاً، وأنهت كسلاً، وأقصت شيطانًا، وأدنت ملكًا!!



تفاؤل الحروف والقلوب

كلماتك تصنعك!!

عن **عائشة** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: عن النبي ﷺ قال:

«**لا يقل أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل لقست نفسي**»[1].

والخبث واللقس وإن كان المعنى المراد يتأدى بكل منهما، لكن النبي ﷺ كره لفظ الخبث لبشاعته وشناعته واحتماله أمورا زائدة، فمن معانيه الباطل في الاعتقاد والكذب في القول والقبح في الأفعال، بخلاف اللقس الذي معناه الخمول والميل إلى الدعة.

واستفاد **ابن حجر** استفادات رائعة من هذا الحديث ثم أهداها لنا في قوله:

«ويؤخذ من الحديث:

* استحباب مجانبة الألفاظ القبيحة والأسماء، والعدول إلى ما لا قبح فيه.
* وفيه أن المرء يطلب الخير حتى بالفأل الحسن.
* ويضيف الخير إلى نفسه ولو بنسبة ما.

---

(١) صحيح: رواه الشيخان عن سهل بن حنيف كما صحيح الجامع رقم: ٧٧٥٩.

* ويدفع الشر عن نفسه مهما أمكن.

* ويقطع الوصلة بينه وبين أهل الشر حتى في الألفاظ المشتركة.

* ويلتحق بهذا أن الضعيف إذا سئل عن حاله لا يقول لست بطيب بل يقول ضعيف.

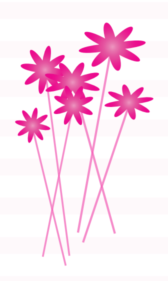
* ولا يخرج نفسه من الطيبين فيلحقها بالخبيثين»[1].

فكلماتك تصنعك، وترسم مستقبلك، وحروفك إما أن تحرفك عن الطريق وإما أن تضعك على جادته، وقد تعلم الصحابة الدرس من المعلم الأعظم، فكان **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما يكره أن يقول: إني كسلان[2].

بل حتى الشعراء المؤمنون ساروا في الطريق النبوي التفاؤلي المضيء، فتواصوا بالتفاؤل وتعاهدوا على إبراز الجانب المشرق من أي أمر، فقال شاعر السيف والقلم **محمود سامي البارودي** موصيًا أبناء صنعته:

أيها الشاعر المجيد تدبر ... واجعل القول منك ذا تحكيم

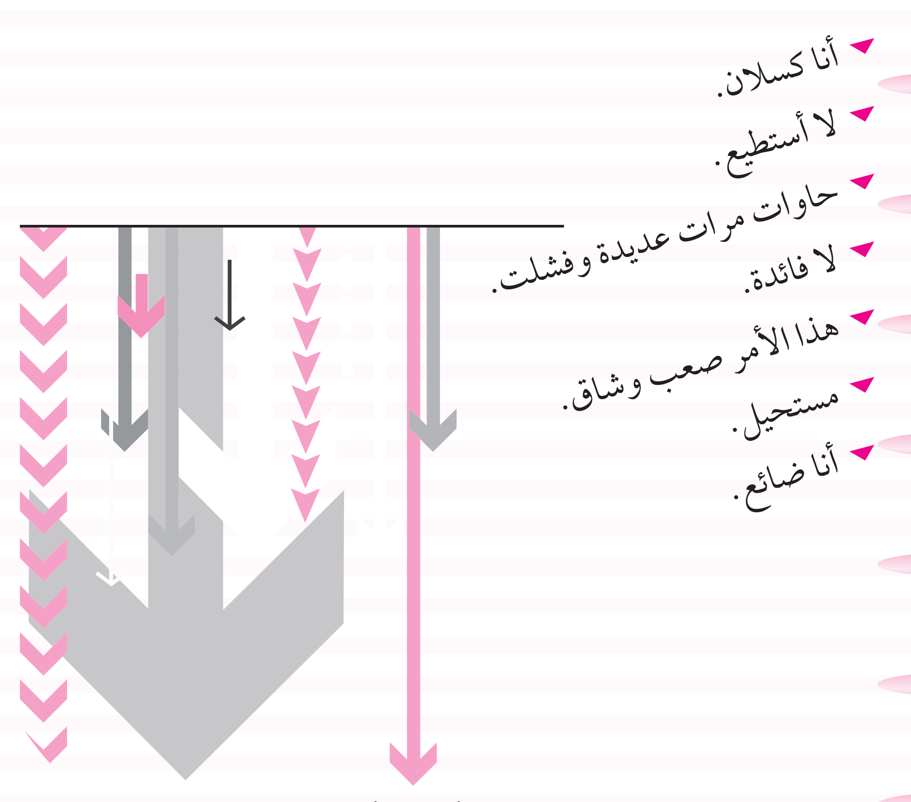
لا تذم اللئيم وامدح كريمًا ... إن مدح الكريم ذم اللئيم



(١) فتح الباري ١٠/ ٥٦٤ – ابن حجر العسقلاني– ط دار المعرفة.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٣٢٠ – ط ١ مكتبة الرشد بالرياض.

كلمات خافضة!!

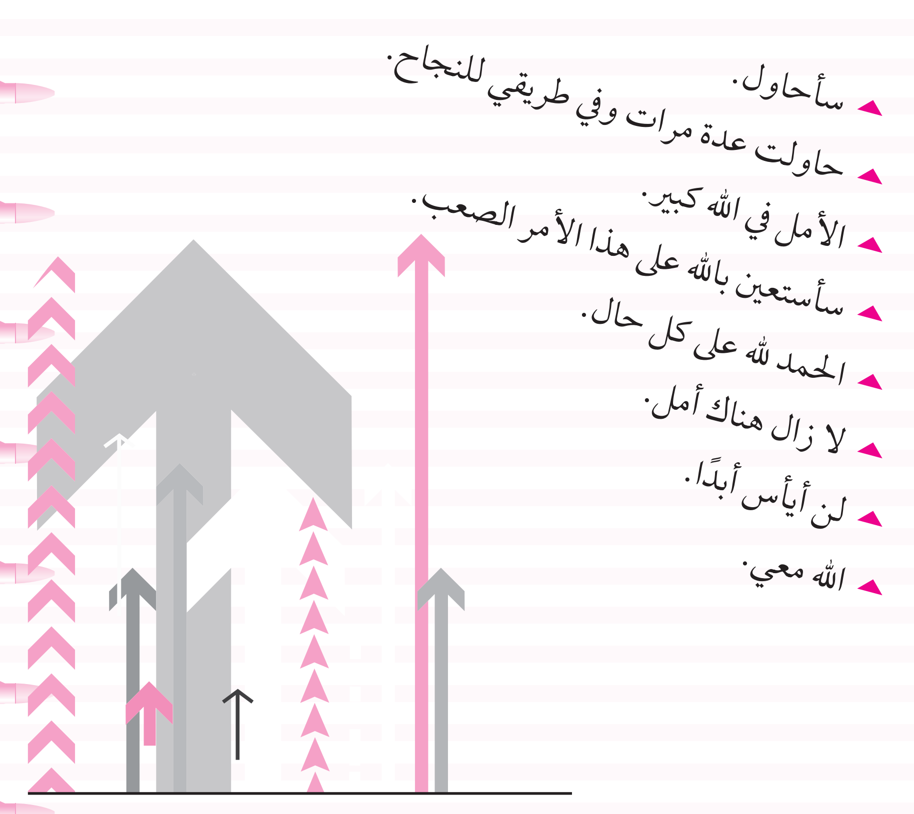
- أنا كسلان.
- لا أستطيع.
- حاولت مرات عديدة وفشلت.
- لا فائدة.
- هذا الأمر صعب وشاق.
- مستحيل.
- أنا ضائع.



وقد صففتها لك في سطور مائلة إلى الأسفل لأنها تهوي بقائلها إلى القاع، وتمنعه من صالح العمل، وتسوقه من الكسل إلى الفشل، فحري بها أن تكون مائلة، فلا استهانة بكلمة بعد اليوم، ولا إطلاق لها إلا بحساب.

كلمات رافعة!!

- سأحاول.
- حاولت عدة مرات وفي طريقي للنجاح.
- الأمل في الله كبير.
- سأستعين بالله على هذا الأمر الصعب.
- الحمد لله على كل حال.
- لا زال هناك أمل.
- لن أيأس أبدًا.
- الله معي.



وهذه سطور صاعدة بك نحو الأعلى لأنها ترفع همتك، وتصرع رقدتك، وتغيظ شيطانك، وتبطل كيده وخطته، فلا غرو أن تكون صاعدة إذ تسمو بالنفس والروح، وتمهد لها الطريق إلى الفوز والنجاح.

الفهرس